مكتبتنا العربية

مدير المجلة
محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

الجزء السابع - في غرة رجب ١٣٧٢ - ١٥ مارس ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

أمانتان

أما أولاهما فخمسمائة مليون مسلم منتشرون في بقاع الأرض كالأيتام الذين لا راعي لهم، ولا يجدون من يجدد ارتباطهم العملي بالإسلام وأخلاقه وقواعده وسننه، بعد أن صارت بيوتهم غير إسلامية، ومعايشهم غير إسلامية، وروابط الصداقة والتعاون والتعامل فيما بينهم غير إسلامية، ومجتمعهم كله غير إسلامي، وحتى أهدافهم قد انحرفت عن أهداف الإسلام، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيهم مرة أخرى لأنكرهم ولأنكر نسبتهم إليه . . .

ترى هل أخلاق الإسلام وقواعده وسننه جاءت لتكون خاصة بالجيل الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل المنتسبون إلى الإسلام الآن في حل من أن يتنكروا لتلك الأخلاق، وألا يعملوا بتلك القواعد، ولا يلتزموا تلك السنن؟

أنا لا أنكر أن المساجد حافلة ولله الحمد بالمصلين، بل إنها على كثرتها يضطر المئات من المصلين إلى افتراش الحصر والجلوس في خارج أبوابها ليصلوا الجمعة مع الذين سبقوهم إلى الصلاة في داخلها، وبين كل حين وآخر يحتفل المسلمون بإنشاء مساجد جديدة، ومع ذلك فإن المجتمع الإسلامي لا يتعامل فيه الناس بأخلاق الإسلام، ولا يعترفون بقواعده، ولا يلتزمون سننه.

مكتبتنا العربية

إن الأئمة الأربعة وغيرهم من أعلام الفقه الإسلامى اختلفوا فى كثير من أحكام العبادات كنواقض الوضوء وإسبال الأيدى فى الصلاة أو عقدها ، لأن النصوص التى اعتمدوا عليها فى استنباط تلك الأحكام متعددة فى أحوال مختلفة ، أو هى ليست من الصراحة والقوة بالدرجة التى تمنع الخلاف عليها فى المذاهب الفقهية .

أما النصوص التى تلزم المسلمين بأن يكونوا أمة صدق ، وبأن يقيموا الحق ، وأن يتعاونوا على الخير ، فإنها أصرح وأوضح وأقوى من جميع النصوص التى اعتمد عليها أئمة الفقه فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع فى العبادات . فكيف استباحت جماهير المسلمين — إلا من عصم الله — هذا التساهل المشاهد الآن فى أخلاق الإسلام ومنها الصدق وإقامة الحق والتعاون على الخير ، مع أن الكثيرين من الذين يتساهلون فى ذلك يتشددون فى الأحكام المختلف عليها بين المذاهب لأنها من أمور الدين ، أما الأخلاق فأكثرهم يحسب أنها من أمور الدنيا ، وأن لهم أن يتصرفوا فيها بحسب ما يظنونه مصلحة لهم . نعم إن التشدد فى أحكام العبادات ضرورى لكل مسلم حتى ما اختلفت المذاهب على أدلته من النصوص ، ولكن كيف يجوز لعامة المسلمين فى بيوتهم وأسواقهم ومجتمعهم أن يعتبروا الأخلاق من أمور الدنيا لا من أمور الدين ، وكيف يستبيحون التحلل من أوامر الله فيها مع أنها أصرح وأقوى من أدلة الفروع الفقهية المختلف عليها بين الأئمة ؟

اللهم إن هذا منكر يجب على المسلمين معالجته عمليا بكل ما يزيله من العالم الإسلامى ، ويطهر هذه الأمة منه ، حتى تعود كما كانت أمة صدق ، وحتى تعلو فيها كلمة الحق ، وتعم جميع أفرادها سجايا الخير . وبهذا الإصلاح يعود المسلمون مسلمين ويرد إليهم اعتبارهم بين الأمم ، ويصلح الله لهم به دنياهم ، وتتعرف شعوب الأرض إلى الإسلام بمشاهدة أخلاقه معمولا بها فى جماعات المسلمين وأفرادهم .

وهنا يحسن بنا أن نتساءل : من الذى يتولى معالجة هذا المنكر حتى يزيله ، ويرد المسلمين إلى إسلامهم حتى يكونوا من أمة نبيهم حقا ؟ .

كنت أعتقد منذ طفولتى أن هذا الواجب فى أعناق علماء الإسلام ، وأنهم ورثة المقام النبوى فى معالجة كل ما كان يعالجه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من نقائص الناس ومواطن ضعفهم . لكنى سمعت الكثيرين منهم فى فترات كثيرة من حياتى يعتذرون بأنهم

مكتبتنا العربية

ليس لهم من « الأمر » شيء ، وأن هذه الأمانة فى أعناق ولاة « الأمر » . وهنا نقف مرة أخرى لنتساءل : ما هو هذا « الأمر » ، لنعرف من هم ولاته ؟

إن « الأمر » فى الإسلام وأمة الإسلام هو الإسلام نفسه وأخلاقه وقواعده وسننه . ويوم كان أمراء المؤمنين وولاتهم وعمالهم هم الذين يرتقون منابر الإسلام ليقوموا بمهمة التوجيه للمسلمين ، ولما كانوا يؤمون المسلمين فى دينهم كما يؤمونهم فى دنياهم ، كانت « المسئولية » يومئذ فى أعناقهم مباشرة ، ومع ذلك فإن ورثة مقام النبوة من علماء المسلمين لم يكونوا يتنصلون من هذه المسئولية ، وكان كل واحد منهم يقوم بنصيبه الذى يطيقه منها .

وأما بعد أن انحصر « أمر » الإسلام ورسالته وقواعده وأخلاقه وسننه فى ورثة مقام النبوة من علمائنا ، فقد انحصرت فيهم ولاية هـذا الأمر ، ولن يخلصهم من مسئولية ذلك فى يوم الحساب الأكبر أى عذر يعتذرون به .

إن هذه الأمة الإسلامية « أمانة الله » فى أعناق علمائها ، فعليهم أن يعدوا أنفسهم لقيادتها إلى الإسلام وأخلاقه والعمل بقواعده وإحياء سننه ، بأن يجعلوا لها من سيرتهم قدوة تقتدى بها ، ومن إيمانهم الصادق مصباحاً تستنير به ، ومن توجيههم الحازم اتجاهاً تسير به إلى أهداف الإسلام بصدق وعزيمة وأمانة وإخلاص .

ولأقطع الحجة على الذين يقولون منهم : ليس لنا من « الأمر » شيء ، أتحدث إلى سادتى شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية الإسلامية فأسألهم : أليس « الأمر » لكم فيمن وضعهم الله تحت أماناتكم من شباب المسلمين الذين أقبلوا على معاهدكم ليتلقوا منها رسالة الإسلام ، ثم ليكونوا خلفاءكم فى بيئاتهم على وراثة مقام النبوة ، يوم تشهد لهم معاهدهم بأنهم صاروا من العلماء ومن ورثة الأنبياء ؟

نعم يا أسيادى ، إن هؤلاء الطلبة « أمانة الله » فى أعناقكم ، وفى أيدى المتعاونين معكم من أساتذة الأزهر والمدرسين فيه ، وإن أمثالهم من طلبة العلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى « أمانة الله » فى أيدى أساتذتهم من علماء المسلمين فى كل بقعة من تلك البقاع .

إنها لأمانة ثقيلة فى ميزان الله ، وعظيمة المسئولية فى يوم الحساب . . .

وإذا كانت الأمانة - بوجه عام - قد تهيبتها السماوات والأرض يوم عرضها الله عليهن ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، فإن جزءها الذى ائتمن الله عليه سادتنا العلماء من شيوخ

مكتبتنا العربية

الكليات والمعاهد والمدرسين فيها وفى أمثالها بكل بلد ، لا شك أنه أثقل ما فى أمانات الله وأعظمها خطراً ومسئولية .

إن الرعاة الذين سيعهد إليهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مئات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية فى مصر وأمثالها فى الأوطان الإسلامية الأخرى . وإن كانت قد فاتتنا الفرصة فيما مضى لإعداد هؤلاء الرعاة الإعداد الصالح لرعاية الشعوب الإسلامية بلا تهرب من هذه المسئولية ولا تعلل بالمعاذير للتخلى عنها ، فقد آن لنا أن نشعر اليوم بثقل مسئوليتنا من هذه الناحية ، وأن نتذكر أن المعاهد الإسلامية ينبغى أن تكون - قبل كل شىء - دور إعداد وتربية وتكوين خلق وتوجيه ملى ، ثم هى بعد ذلك معاهد تعليم . والصحابة فى عصر النبوة كانوا يتلقون الأخلاق والفضائل وحسن التوجيه من المبعوث إلى الإنسانية ليتمم مكارم الأخلاق ، أكثر مما كانوا يتلقون العلوم كما نعرفها نحن فى عصور الانحطاط . وقد ثبت أن الصحابة والتابعين كانوا يتلقون الآيات القليلة من القرآن فيتقنون تلاوتها ، ويتدبرون أغراضها فى أوسع آفاقها وأبعد مراميها ، ولكثرة تكرارها لتدبرها كانوا يحفظونها أتم الحفظ وأجوده ، وفى خلال ذلك يتخلقون بكل ما فيها من أخلاق ، ويعملون بكل ما فيها من توجيه وأحكام ، حتى إذا استوفوا ذلك على أتم الوجوه وأكملها فى هذه الآيات القليلة ، انتقلوا منها بعد ذلك إلى آيات أخرى غيرها . قالوا : فكنا نتعلم العلم والعمل به . وإذا تعلموا العلم والعمل به ، حملوا رسالتهما إلى كل مكان حلوا فيه ، فعلموه لجميع من يتصل بهم من إخوانهم المسلمين ، وحملوهم على العمل به كما التزموا هم العمل به فى السر والعلن والمنشط والمكره . وبذلك ورثوا مقام النبوة فى الإسلام . أما العلم الكثير الذى ينظر اليه كبضاعة للتصدير لا للقنية ، فإنه هو العلم الذى لا ينفع ، وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من هذا النوع من العلم كما يستعيذ من الشيطان ، وطالما قال ﷺ « أعوذ بالله من علم لا ينفع » . فالعمل بالعلم ، والتخلق بما يرشد اليه من فضائل يجب أن يكون فى مقدمة مايعنى به المدرس فى نفسه أولا ، ثم فى توجيه أبنائه الطلبة اليه ، ومراقبة عملهم به ، كما يراقب الأب الحكيم ابنه الحبيب وكلما صدر ذلك عن المدرس من صميم القلب ، وتأيد عليه به بعمله به ، رسخ ذلك فى قلوبهم ، وتشبعت به نفوسهم ، وجرى مع دمائهم فى عروقهم ، لا سيما إذا اقتنعوا بفائدته

مكتبتنا العربية

لهم فى معترك الحياة . ومما ينبغى لنا معرفته أننا مقبلون على زمن ينحط فيه ويفشل فى الحياة كل من عامل الناس بالأخلاق الملتوية ، ويرقى فيه وينجح فى الحياة كل من عامل الناس بالأخلاق المستقيمة . وإن الأخلاق الإسلامية هى العنصر المطلوب بعد الآن فى المجتمع ، والمجتمع سيبحث بمصباح ديوجين عن المتخلقين بأخلاق الإسلام ليأتمنهم على مصالحه ومرافقه وخيراته . وكما رأينا أصحاب الأخلاق الملتوية ممن وصلوا إلى المقامات العليا فى عهد قريب قد سقطوا الآن فى أقفاص محاكم الجنايات ، أو فتحت دفاتر حسابهم عما اقترفوا فيما مضى من آثام ، فإن السنين الآتية لن يكون فيها لأمثال هؤلاء مجال للعمل ، وإن العمل كله سينشد له المجتمع عمالا من المتخلقين بالأخلاق التى كان يبتهج بها رسول الله ﷺ ويمتلىء قلبه محبة لأهلها وسروراً بهم .

إن على أساتذة الكليات والمعاهد الأزهرية أن يرغبوا طلبتهم فى معرفة تراجم أصحاب رسول الله ﷺ وفضائلهم وما كانوا عليه من أخلاق ، ويطمعوهم فى أن يكونوا مثلهم فيها . بل عليهم أن يفهموهم بأن على المسلم أن يكون له فى رسول الله ﷺ وأخلاقه السامية أسوة حسنة كما أرشد الله المسلمين إلى ذلك ، ومن أولى من طالب العلم الإسلامى بأن يطلب الأسوة والقدوة لنفسه وقلبه وعقله وأخلاقه بكل ما كان عليه رسول الله ﷺ من سجايا وفضائل ؟ والسيرة المحمدية يجب أن تعرف لا للتحدث بها من الألسنة إلى الأسماع ، بل للتأسى بها حتى تترجم بالأخلاق والأعمال ، فيتلقاها الناس بالمشاهدة والنظر ، والتعامل بها والعمل . حتى إذا تخرج طلبة الأزهر وهم متحلون بهذه الحلية ، استطاعوا أن يقودوا الأمة الإسلامية ويعدلوا بها عن طريق الشيطان إلى مرضاة الرحيم الرحمن ، وبذلك يتحول المسلمون من غثاء السيل ، ويطهر الله قلوبهم من جراثيم الوهن ، ويملأ صدور الأمم مهابة لهم ، فتتبوأ المكانة الكريمة التى أرادها رسول الله ﷺ لأمته .

الأخلاق قوة ، والمسلمون ضعفاء الآن فى كل شىء ، لأنهم نشأوا وتكونوا أيتاماً ليس لهم من يحسن القيام عليهم فى إعدادهم الخلقى وتوجيههم الإسلامى . ولن يكونوا مسلمين حقا إلا إذا تخلقوا بأخلاق الإسلام ، وإن لم يتول علماء المسلمين هذه « الأمانة » فى أمة محمد فمن ذا الذى يتولاها فيهم ؟

مكتبتنا العربية

يا أسيادى شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ، ويا إخوانى من أساتذتها ومدرسيها : إن الأمر جد ، والزمان قد استدار ، ويوشك أن يكون كهيئته يوم بعث الله محمداً ﷺ بالحق والخير ، فأصبحت هذه المهمة هى مهمتكم الأولى . وإذا لم تعتبروا أنفسكم ولاة هذا « الأمر » فى جماهير المسلمين ، فأنتم بلا شك ولاة الأمر كله فى طلبتكم وأبناء كلياتكم ومعاهدكم . وإن الدرس قد يؤخذ من الكتب ، أما التكوين الخلقى والتوجيه الإسلامى فمنبعه قلب المدرس المؤمن بأخلاق الإسلام والذى يشعر بخطر الأمانة التى ائتمنه الله عليها .

أيها المدرس الأزهرى ، أنت قائد ، والذين تتصل بهم من طلبتك الأزهريين هم جندك ، فسلحهم بأخلاق الإسلام ، واملأ قلوبهم وأرواحهم برسالته ، وادفعهم بإيمانك وحكمتك إلى ميادين الجهاد ومعاقل النصر ، وإن الله سيكتب بجهادكم الصادق الظفر الكامل للفضائل فتزول بها الرذائل التى أوهنت المسلمين وأطمعت بهم الأمم . إنك أيها المدرس المسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ، فحذار أن يؤتى الإسلام من قبلك !

* * *

وبعد فهذه إحدى الأمانتين ، وقد اتسع القول فيها لأنها عظيمة فى مصير الإسلام وأهله ، وثقيلة فى موازين الله عز وجل . وسأتحدث عن الأمانة الأخرى فى الجزء الآتى إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

علمـــــاء السلف

لما تقلد الخاقانى الوزارة أرسل إلى الإمام محمد بن جرير الطبرى بمال كثير ، فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع . فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك فى هذا ثواب ، وتحيى سنة قد درست . فانتهرهم وقال : « قد كنت أظن أنى لو رغبت فى ذلك لهيتمونى عنه » .

مكتبتنا العربية

دفاع عن الأزهر

شر ما تبلى به أمة من الأمم شك بعضها فى بعض ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، فكلما أشار عليها أولو الأمر فيها شكوا فى مشورتهم ، وأساءوا بها الظن ، وذهبوا يلتمسون الأسباب والعلل للتفلت منها .

وإنا نحس تدبيرا خفياً يعمل فى الظلام للتفريق بين الأمة وعلماء الدين فيها ، ويبذر بذور الشك فى أقوالهم ونصائحهم وفتاواهم . لقد سارت الأمة منذ عهد بعيد منذ مجىء الإسلام على حسن الظن بهم والتماس مشورتهم فى كل حادث جد وفى كل خطب نزل ، وكانت تأتمر بأمرهم وتصدر عن رأيهم ، وكانوا يحذرونها من أعدائها ويُرونها مكرهم ودسائسهم ، ويعرفونها كيف تتقى حبائلهم وتأمن مكرهم ، ولم يخف ذلك على أعدائها فسعوا فى غرس الشك فى قلبها وخلقوا سوء الظن بهم ، لتنفرد عن علمائها وينفرد أعداؤها بها .

« وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

وقد أصابوا بعض النجاح فى ذلك ، فلا يخطئك أن ترى فى بعض الصحف تشويها لهم وإساءة ظن بمشورتهم . ونحن إذا التمسنا العذر لبعض الكاتبين ، فلا نجد عذرا لبعض علماء الدين الذين يبذرون الريب والشكوك فى العلماء ، ويصورونهم بصورة من باعوا دينهم وضمائرهم لدنيا يصيبونها أو عرض يقتنونه ، وقد رأينا منهم من يطعن فى قدماء العلماء ومحدثيهم ، فإذا رأى فتوى فى أمر هو مجال الاجتهاد طعن فيهم إذ لم يأخذوا بالرأى المخالف ، وإذا كانت الفتوى صحيحة ليست باطلة ، جعل الباعث عليها سيئا ، والأمور تسوء بسوء الباعث عليها حتى العبادات نفسها . قال رجل فى مجلس الأمير : سبحان الله ، استعظاما لأمر وقع من بعضهم ليغرى به الأمير ، فقال بعض العلماء : ما علمت أن سبحان الله معصية إلا فى هذا اليوم .

وإذا رأى العلماء ينزلون على الأمر الواقع حين غزا نابليون مصر وتغلب عليها نعى عليهم ذلك ، كأنما كان يريد بعد أن سقطت المقاومة أن يقاوموا ويحملوا المصريين على المقاومة ليبيدهم أعداؤهم ، وإن حكم الشرع والعقل يأبى ذلك ـ قال الشاعر القديم :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فدعه إلى اليوم الذى أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصم إذا أيقنت أنك عاقره

مكتبتنا العربية

وقد رأينا الألمان فى الحرب الثانية يغزون الممالك فلا تقف أمامهم إلا أياما ، وكانوا أعظم المحاربين شجاعة وإقداما ، ولكنهم لما سقطت مقاومتهم خضعوا للأمر الواقع ، وساروا على حكم الوقت ، فحكم قوادهم واستجابوا لما يفرض عليهم .

فهل كان يطلب من علماء الدين فى عهد احتلال الفرنسيين غير ذلك ؟ وهل كان يطلب منهم أن يقودوا الأمة إلى حتفها بعد أن سقطت مقاومتها ؟! لا . إن العقل يقضى بمسايرة الأمر الواقع ، والعمل على التخلص والصبر حتى تمكن الفرصة كما كان ، فقد جاءت الفرصة وأخرج نابليون والفرنسيون من مصر .

هذا مرض يجب أن يطب علماء الدين له ، ويجب أن يعنوا به ويتعرفوا أسبابه وعلله ، فليس ذلك يمس أشخاصهم فحسب ، وإنما ذلك يمس المصلحة العامة وخير المجتمع .

إن العلماء هم الهداة المرشدون بحكم الدين ، وإنه لا يقبل قولهم ولا يسمع نصحهم إلا إذا وثق بهم ، وهذه الحملة المدبرة عليهم تفقدهم هذه الثقة .

إننا نعلم أن صلة العالم المسيحى بالبابا وبرجال الدين فيهم صلة تجعلهم إذا أمروهم بأمر نفذوه فى بلدان العالم المختلفة .

وإن اليهود فى جميع العالم يرتبطون برباط وثيق ، وإن الأمر ينزل عليهم من هيئتهم العليا ، فإذا هو قول مطاع وحكم منفذ ، وهذا سر قوتهم ونجاحهم ، إن قادتهم يرون فى الأمر فتبين لهم وجوهه المختلفة فيختارون ويضعون الخطة ولو مئات السنين ، ويعلمون اليهود فى جميع بقاع الأرض بذلك ، فيأخذون جميعا فى التنفيذ ، فليست هناك آراء مرتجلة ولا عمل وقتى ولا رأى شخصى ، إنما هو الرأى المدروس المتفق عليه الذى هو أمنية الأجيال والقرون .

أما نحن فلا نزال على عتبة الباب ، ولا نزال متفرقين مختلفين لا يعلم بعضنا شيئا عن بعض ، ولا يزال بعضنا ينزع الثقة من بعض ، حتى نصير بددا متفرقين ، لا نجتمع على رأى ولا نستجيب لنداء .

إن الأمر جد خطير ، يجب أن يلتمس له الدواء لإعادة الثقة وحسن الظن ، ولعل هذا هو الذى دعا الرئيس اللواء محمد نجيب إلى أن يستقرى التاريخ حتى يعثر على مواقف مشرفة لعلماء الأزهر من وقوف فى وجه ظالم أو عمل على رفع مظلمة ، أو إنقاذ الأمة من جبار متعنت ، فيسجلها فى خطبه العامة ويشيد بها فى مواقفه التاريخية ؛ فقد ذكر فى خطبته فى عيد التحرير فى يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ما يأتى : « لقد أرادت مناهج التربية والتعليم فى الماضى أن تطمس هذه الصفحة المشرقة من تاريخ بلادنا لينشأ أبناؤنا على الذلة وليستقر فى أذهانهم

مكتبتنا العربية

أنهم كانوا عبيدا أبدا ، لذلك أراني اليوم مطالبا بأن أعلن أن أجدادنا كافحوا من أجل الحكم الصالح ، وأنهم جاهدوا فى سبيل الدستور الصحيح منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فقد عزل الشعب فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ واليا معينا من قبل السلطان ، فقال الوالى إنى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ، فرد عليه علماء الأزهر ، وكانوا وقت ذاك نواب الشعب ، إن للشعوب طبقا لما جرى به العرف قديما ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الإسلامية ، الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل ، وساروا بالظلم ، لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة ، فحركتكم التى تحتفلون اليوم بعيدها كما ترون ، وصولة الأسباب بجهاد أجدادكم ، فما قاله الأجداد فى سنة ١٨٠٣ قاله الأحفاد فى ٢٣ يوليو الماضى » .

وفى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور أشار إلى إحدى الثورات الدستورية التى قامت فى مصر بقيادة الشيخ أحمد الدردير والشيخ الشرقاوى ، وقد قال الرئيس إن هذه الثورة قام بها شعب مصر قبل أن يستتب الأمر لثورات أوربا الكبرى .

هذا ما نسجله للرئيس اللواء محمد نجيب مغتبطين له ، مقدرين هذا الشعور النبيل ، وهذا التوجيه النافع ، فماذا يجب على علماء المسلمين أن يعملوه ، وماذا يجب أن يساعدوا به فى إعادة الثقة بهم .

إن البون بينهم وبين النظام الواجب شاسع ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله غرضا سامیا يسعون للوصول إليه ويلتمسون له الأسباب ، إن الثقة بهم هى التى تجعل قولهم مقبولا وأمرهم مطاعا ، وان تنال هذه الثقة إلا بأن يؤمن رجال الدين بأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، وإنما خلقوا لهداية أمتهم ، وأنهم مسئولون عنها إذا زاغت أو ضلت ، وبأن يعملوا على مقتضى هذا الإيمان ، فيجب أن تجدهم أمتهم إذا اشتجرت الآراء ، وعمت الأهواء ، ناصحين هادين ، ويجب أن ترى فيهم تضحية بأموالهم ومناصبهم وبأرواحهم إذا اقتضى الأمر فى سبيل خيرها وإنقاذها ، يجب أن تعلم فيهم أنهم لا يجبنون عن قول الحق ، ولا ينكصون عن نصرة الصدق .

ويجب أن يتحللوا من ذلك الواجب الذى يفرض على المرء ألا يتحدث عن أعماله وألا يزكى نفسه ، فما عليهم أن يتحدثوا عن أعمالهم ، ويبينوا خدماتهم وتضحياتهم ما داموا يدافعون عن أنفسهم ويردون قول خصومهم ، وما داموا يرجون من وراء ذلك إعادة الثقة أو توطيدها برجال الدين ليتمكنوا من بذل النصيحة ومن توجيه الأمة إلى خير العمل وعمل الخير .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٣ —

٢ — البيت العتيق :

« وأذن فى الناس بالحج »

صدع إبراهيم بالأمر ، وامتد فى الآفاق نداؤه ، وتحقق لمكة رجاؤه ، فأصبحت وجهة للقصاد بعد أن طالت عزلتها ، وهوت إليها أفئدة من الناس وإن بعدت عليهم شقتها ، وتوافد الناس عليها من كل حدب ، « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

وكان قد اندمج إسماعيل فى العروبة فنشأ على لسانها ، وشب بين ناشئتها ، وائتلفت فيه روحانية الأبوة بخصوبة الأمومة المصرية ، واشتمل عليه الطابع العربى فى ميزانه المحمودة : من نجابة ، وصراحة ، وصدق ، ووفاء .

وبهذا التكوين كانت شخصية إسماعيل طرازاً جديداً للرسالة الدينية فى طور حديث من التاريخ ، وكان مهيأ للبعث فى الأمة العربية . . على غير ما كانت تتجه الرسالات من قبل « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ثم يبدو توجيه القدر المحتوم فى تلقيح العروبة القديمة بما يخفف من جفوتها ، ويلطف من خشونتها لتساير حياتها القابلة فى سبيل التدرج .

بدا ذلك فى إصهار إسماعيل إلى العرب ، فكانت ذريته ـ العرب المستعربة ـ وكانت بعد : قبائل ، تبتدىء منه ، وتتأصل به ، وتمتد فروعها فى جنبات مكة ، وفيما حولها ، حتى لتزخر بهم مكة يوما فيوما ، وغمر الله البلد الماحل بما رزق أهله من الثمرات مجلوبة إليهم على أيدى من هداهم الله لتلبية أذان إبراهيم بالحج . وتلك دعوة من دعوات الخليل .

تعارف الناس فضل البيت ، وتوارثوا قداسته ، وأصبح تاريخه عندهم مطلع تاريخ

مكتبتنا العربية

العرب المستعربة . . وأصبح كذلك فى تقديرهم - وهو حق - منقبة من مناقب الشرف المؤثل لإسماعيل وذريته من بعده .

وعندى - وهو استطراد حسن - أن انتساب العرب لإسماعيل بنسب محفوظ ، وارتباطهم بالبيت فى تاريخ مصدوق كانا من بواعث العزة التى عرفوا بها ، ومن أسباب الخصال المحمودة التى لم تكن لسواهم ، فإن يكن هذا فى البيئة العربية الأولى فقد وضح فى بنى إسماعيل أكثر ، وقوى اعتزازهم بذلك منذ أصبح نجمهم فى تألق ، ونجم الآخرين فى أفول ، ومنذ أصبح لهم إدلال بأبوة إبراهيم وإسماعيل ، وأصبحت لهم منقبة بالبيت الذى أقيم فيهم ، ولا يزال بينهم ، فمن حقهم أن يتساموا بالنسب الكريم ، ومن الحق عليهم أن يتسابقوا إلى المكارم : حماية للشرف الموروث ، وإعلاء للمجد المعروف ، وتعزيزاً للسيادة الموهوبة .

بلغنا السماء مجـــدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

وقد تأصل فى العرب إذا امتدح الواحد منهم نفسه أن ينحاز إلى أعراقه الأولى ، حتى ينتهى إلى إسماعيل لو يستطيع ، وإلا يستطع فحسبه أن يصعد فى النسب الضارب فى العروبة إلى غاية ، ولم يكن فيما تعارفوه أزكى لأحدهم من نسب معترف به وإن صفرت يده من المال ، ولا أخزى من نسب منكور وإن كانت الدنيا فى قبضته ، . وكل ما هناك من شمائل محمودة أو شائنات مرذولة فمرده عندهم إلى أصل كريم ، أو نسب لئيم .

ويخيل إلى أن هذا من وحى الفطرة ، فإنا نشهد من أنفسنا نزوعا إلى ما نزعوا إليه فشعور الواحد منا بعراقته ، واحتسابه المجد فى عمومته وخئولته قد يدفع به إلى النبالة فيما يقول أو يعمل ، بل فيما يفكر ويتخيل ، وكثيراً ما يصرفه ذلك عما يخدش مجده الذى يعتز به ولو كان فى صنيعه بنجوة من الرقباء .

كما أن استكانة المرء إلى هوان منبته ، وضآلة نسبه واختفاء معالمه قد تزهده فى الترفع ، وتبعده عن المكارم ، وتؤيسه من المجد ، وليس يغنى عن كرم المحتد مظهر زائف ، ولا يمنع الإناء من رشح طلاؤه بالتمويه بل قد تكون الحداثة فى الظهور مغرية بالإسفاف ، فإنها كالنكسة شرها أخل وأنكى من المرض الهاجم .

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

مكتبتنا العربية

وعلى تأييد هذا جاءت تعاليم الإسلام فيما أوصت به عند اختيار الزوجة ، وفيما حذرت منه : مخافة الافتتان بخضراء الدمن — المرأة الجميلة من أصل سوء — فإن للنسب شأناً مراعى : غير أن الإسلام لم يجعل كرم النسب شفيعاً للمسيء ، ولا لؤم النسب مسوغا للعدوان والتحقير ، ولا مانعاً من التزكية بالدين ، والعلم ، والخلق ؛ والميزان الحق فى نظر الدين مع ما للأنساب من أثرها فى توجيه الإنسان إنما هو العمل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وأعود - بعد الاستطراد - فأقول : ظل بيت الله والعرب من حوله هم أهله ورعاته تربطهم به رابطة الوطن ، ورابطة التاريخ ، فهو منارة فى أم القرى ، وهو وثيقة تاريخهم التى لا يمارسهم فيها أحد . وتربطهم كذلك رابطة الدين منذ دعاهم إبراهيم وبعث فيهم إسماعيل .

فليس بدعا أن يدين العرب على تعاقب الأزمان بأن بقاء مجدهم فى الحفاظ عليه ، وأن سيادتهم فى الالتفاف حوله والانتساب إليه

ثم يتطاول العهد ، وتتصدع القومية العربية من بعض جوانبها ، وتجرفهم ضلالات حاقت بهم ، وتنطوى على الأحداث صفحات من التاريخ ...

ولكن شيئاً واحداً ظل شاخصاً فيهم ، مهيباً عندهم : ذلك - هو البيت العتيق - يدأبون على رعايته وعمارته ، ويتعهدون الحجيج إليه بالسقاية وكرم الوفادة ...

وإذا اختصموا فى البيت ساعة ما ، وتنازعوا الأولوية به ، وتقاسموا الأمر فى قبائلهم فهو على أى حال فى ولد إسماعيل ، لا يدعيه غيرهم ، ولا ينتزعه أحد من أيديهم ، ولا يستطيع منافس حانق أن يصرف الناس عنه وإن توفرت له القوة أو تمكن له السلطان . ولم تكن رعاية الله لبيته لتدع أصحاب الفيل ينالون من قداسة البيت ، أو يقتربون منه مع بالغ قوتهم وكثرة حشدهم ؛ بل نزل بهم ما نزل من هلاك ، وبقى بيت الله المحرم مثابة للناس وأمنا .

فإذا اضطربت حياة العرب لأسباب ناجمة فيهم ، أو اندلعت بينهم الحرب تزاحماً على غرض ، أو إدراكا لثأر ، فمكة بمعزل من هذا الصخب ، وأرضها وسماؤها ، وطيرها ونباتها ، والملازمون لها ، واللاجئون إليها : كل أولئك فى حماية البيت ، لا تمتد إليهم يد ، ولا يلحقهم إيذاء .

مكتبتنا العربية

ذلك لعرفانهم أن الله أقام على مكة فى حدودها المعلومة لهم ظلا ظليلا من حمايته ، وجعلها من أجل بيته حرماً آمناً بيْنيا يتخطف الناس من حوله .

وعلى هذا النمط المفكك يعيش أهل مكة ومن إليهم : بين اعتزاز بتراثهم ، واضطراب فى مجتمعهم ، وبعد أن كانت لهم تقاليد تتصل فى أولها برسالة إبراهيم ثم إسماعيل أخذت تقاليدهم تتسع وتضيق ، وتصيب وتخطئ ، حتى انحرفت عن الرشد ، وتحكمت فيهم الجهالة ، ولم يبق البيت لله وحده كما ورثوه ، وإنما أصبح مباءة للوثنية المنكراء ، والأباطيل الفاحشة ، وأصبحت الحياة فى مكة مذعورة قلقة ، وصارت كذلك أو أشد من ذلك فيما حولها ، حتى سئمت نفوس من طول ما أعنتها ، وفزعت إلى الله خواطر تلتمس من لدنه رحمة تنقذهم من هذا البلاء ، وتكشف عنهم غضبة السماء .

وكأن هذه الأمنية كانت ترديداً لدعوات إبراهيم من قبل .

وكأنها كانت من قدر الله - سبحانه - على موعد تتمثل فيه بغية إبراهيم وإسماعيل ، وتتحقق أنشودتهما قديماً « ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

حان ذلك الموعد المقدور لتستأنف مكة يقظتها بعد فترة مديدة ، وتنهض إلى رسالتها فى وثبة فتية جديدة .

وها هو ذا : محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - من صميم العرب ، ينهض بين عشيرته ليعلن فيهم رسالته ويدعوهم ، ويتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ، ويردد فى الخافقين من جديد ما هتف به إبراهيم « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

بدأ البيت الحرام يستعيد شأنه قوياً ، ويسترد مجده قشيباً ، ويتجلى فى ضوء الاسلام ما له عند الله من قدر ، وما لزيارته بين فرائض الله من مقام وخطر .

وإنك لتلحظ هذا - أولا - فى أن الله واجه عباده بإيجاب الحج عليهم جميعاً « ولله على الناس حج البيت » وفى هذا التعميم لأول ما ترى إشعار بأن حج البيت يبلغ مبلغ الصلوات فيما عرف المسلمون من تأكدها وتعلقها بذمة كل مسلم دون استثناء « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

مكتبتنا العربية

فإذا ما قصر الوجوب بعد هذا التعميم على المستطيع بقوته وماله ، فإنما هذه رحمة بذوى الأعذار ، وتخفيف عنهم أن يتكلفوا مالا يطيقون ، والله سبحانه رحمن رحيم ، يسلك بعباده سبيل التيسير فيما شرع لهم من دين ، فهو يكلفهم بالمقدور ، ثم يعفى من التنفيذ صاحب العذر المقبول .

ونلحظ هذا - ثانياً - فى أن إيجاب الحج متبوع بقوله تعالى « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » وهذا مقام التهديد لمن ترك الحج إلى بيت الله ، وقد بولغ فى التشنيع عليه حتى اعتبره القرآن فى حيز الكفر ، وسيق التهديد له مساق التنديد بالكفر وأهله ، . . وكفى بذلك إفصاحا عن شأن البيت وأهمية الحج اليه .

أرأيت أن القرآن الكريم لم يقف من شأن البيت عند إيجاب الحج ، والتهديد الفوى على تركه ؟ بل يواصل التنويه إلى كرامة البيت على الله ، ويتابع الإشادة بذكره فى الكتاب ، حتى ليبلغ من شرف هذه البنية فى تلك البقعة أن يردد الله ذكرها ، وذكر البلد المحمى بها ، فى سبع وخمسين آية من آياته ، وتراها منثورة فى ست عشرة سورة من سور كتابه العزيز .

وتأخذك الروعة إذا تنبهت إلى إبداع الله فيما صنع بتلك الآيات وهذه السور . . فى الآيات ترديد لذكر البيت موصوفا بصفات كريمة متعددة : فهو البيت المحرم ، وهو البيت العتيق ، والبيت المعمور ، والبيت الحرام ، وهو أول بيت وضع للناس ببكة : مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وهو البيت مضافا إلى الرب « رب هذا البيت » ، وهو البيت مضافا ومستغنياً بالإضافة عن كل وصف وثناء « وطهر بيتى » .

وكذلك توصف مكة وما حولها من أجل البيت بأوصاف كريمة متعددة . . فهى البلد الأمين ، والحرام الآمن ، وبها الصفا والمروة من شعائر الله ، وهناك عرفات : ملتقى الحجيج من كل صوب ، وموقفهم الرهيب فى وقت محدود ، ومنه الإفاضة إلى المشعر الحرام ، وفيه ذكر الله مطلوب ، وطيب مشهود ؛ ثم تنتهى تلك المواقف إلى البيت وكان البدء منه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم » .

لكل وصف من تلك الأوصاف معنى ، وفى كل منسك من هاتيك المناسك حكمة ، فإن لم نحط بتفصيلها علما ، فحسبنا أنها ذكريات صادقة لما شهده أسلافنا بتلك البقاع ،

مكتبتنا العربية

وأنها معالم ناطقة بالأوضاع الأولى لتاريخ الإسلام ؛ والتاريخ تعوزه كثيرا الدلائل المادية وتفيده ، وحسبنا أنها مشاهد حية لما سبقنا إليه تاريخ الأوائل ، وليس من الأمور الثانوية أن يجدد الإنسان المتدين سالف ذكرياته التى يركز بها عقيدته ، ويدعم بها يقينه ، ويشد بها أواصره الدينية بأواصر من سبق ، ويدلى بها إلى من لحق ؛ ولعل ذلك مما يشمله قول الله عز شأنه ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فليس يبعد أن يظل الحبل ممدودا بين الأوائل والأواخر ، فهو من جانب السلف ذكريات كريمة ، ومن الخلف تبعية لقدوة مستقيمة ، وجميعهم على تقوى من الله ، وعلى نهج مما رسم لهم دين الله ؛ فإذا تتابعوا على الهدى فهم معتصمون بحبل الله جميعا . ألم يكن من دعاء إبراهيم عليه السلام « رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » .

فهو يسأل التوفيق للأخذ بما أخذ الصالحون من قبله ، ويسأل التوفيق أن تكون له الذكرى الطيبة - وهى اللسان الصدق فى الآخرين ، لتكون به القدوة للخلف ، كما يجب هو الاقتداء بالسلف ؛ وهذى هى الصلة القويمة أو الحبل الممدود بين السلف والخلف .

ثم انظر ثانيا فيما أبدع الله بتلك السور التى اشتملت على هذه الآيات ؛ فهى ست عشرة سورة ، منثورة بين سور القرآن : الأربع عشرة والمائة ، من سورة البقرة فى أوله إلى سورة قريش فى آخره .

ويبدو لى - فيما أفهم - أن الحكمة فى نثرها وتناول ذكر البيت على هذا النحو : أن يكون البيت شاخصا فى كل مرحلة من مراحل القرآن ، وأن تكون ذكراه جارية على لسان القارىء ، ماثلة فى ذهن السامع ، كلما تنقلا فى التلاوة والسماع من روحة إلى روحة ، وبهذا تمتزج بالخواطر دائما روابط الأخوة التى تجمع المسلمين حول البيت من عام إلى عام ، والتى تقفهم إلى جهة البيت فى صلواتهم الخمس أينما كانوا ، فتقوى فيهم المحبة إذا فطنوا ، وتتأكد قوميتهم الدينية إذا حرصوا وتذكروا دائما أن البيت هو قطب الدائرة الإسلامية ، ومشرق نورها ، وليس أوضح من هذا الصنيع القرآنى فى توجيه الناس إلى تقديس ما قدس الله ، وإلى وصل البيت كما وصله الله . وإن أمة تسير على هذا النهج لهى الأمة التى تمناها إبراهيم وإسماعيل من ذريتهما ، وهى الأمة التى بعث فيها محمد بن عبد الله ؛ ومن أجله ، وباتباع هديه كانت خير أمة أخرجت للناس .

« الحديث موصول »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

لما كان الغرض من هذه الآية والآيات قبلها بيان حال المنافقين وما أدى إليه نفاقهم وزعمهم أنهم آمنوا وما آمنوا ، إلى تناقضات واضطرابات : تناقضات بين أقوالهم وأفعالهم ، واضطرابات فى أساليبهم وأقوالهم . فلما قالوا آمنا وما آمنوا وجه إليهم النهى عن الفساد ؛ لأن ما هم عليه من إفساد يناقض زعمهم أنهم مؤمنون ؛ ولما بالغوا فى أنهم غير مفسدين بحصر أحوالهم فى الإصلاح وجه إليهم طلب أن يؤمنوا إيمانا كإيمان الناس ، وفى ذلك الطلب إظهار لباطلهم وكشف لغبائهم وبيان أنهم نازلون فى جدلهم وحجاجهم إلى درك منخفض . فكان الإيمان المطلوب منهم كإيمان الناس ، وكأنه يقال لهم لا نريد منكم إيمانا تفوتون به الناس ، أو يكون فيه مالا تطيقون ، أو يكون منه إرهاق لكم ومشقة عليكم ؛ لا نريد إلا أن تكونوا كالناس ؛ وفى ذلك بيان لأن الموازين التى يطالبون بوزن أعمالهم بها مبصرة واضحة أنهم كلفوا ، وحدود ما كلفوا به ظاهرة نيرة ، فلا هم يستطيعون دعوى مالا يطيقون ، ولا هم يستطيعون التخلص بمزاعمهم مما به يؤمرون : أى إن كنتم صادقين فى أنكم آمنتم فلا نطالب منكم إلا إيمانا كإيمان الناس . غير أن المنافق الذى مرن على المخادعات وبالغ فى الحيدان عن الجادة حتى جف ماء الحياء من وجهه ، من ذلك شأنه لا يعدم مخلصا مما يواجه به من الحجة ومنفذا مما يُغلَّ به من دليل ، إذ المبطل الذى لا حياء له جرىء جدا على المجادلة بغير الحق ، سمح فى المواجهة بالباطل .

لذلك نرى هؤلاء المنافقين لم يعدموا مخلصا مما حاق بهم من حجة واضحة وطلب محدد ، فتراهم وردهم على ما طلب منهم هو « أنؤمن كما آمن السفهاء » ، وهم فى هذا يحتمل أن يكون مرادهم بالاستفهام والإنكار هو إنكار إيمان غير إيمانهم ، أو إنكار إيمان يماثلون به

مكتبتنا العربية

إيمان الناس ، فيكون المعنى على الأول : أ إيماننا إيمان سفهاء حتى تطلبوا منا غيره أو أتطلبون منا إيمانا كإيمان الناس ، وهؤلاء الناس سفهاء فتطلبون منا إيمانا كإيمانهم ؟ إيماننا إيمان صحيح لا نرضى غيره . أو هؤلاء الناس سفهاء لا نرضى أن يكون إيماننا كإيمانهم ، وهكذا المأزوم بالحجة تراه لا يجد مخلصا حين يحزبه الأمر وتضيق به الحجة إلا أن يلجأ إلى بذىء القول ورمى مخاطبه بالعيب والسفه . وإنك لتشهد ذلك كثيرا فيمن يضيق عليهم الخناق فى الجدل ؛ فإن ألسنتهم تطول بفاحش القول وتتسع أفواههم بالهراء الذى لا يغنى ولا يفيد .

ولما كان ذلك هو ردهم الذى لم يكن إلا تخلصا من خناق الحجة وفرارا من حصار البرهان ، ترى القرآن الكريم قول الحكيم العليم فى رده عليهم قد فصله بألا الاستفتاحية إيذانا بأن قولهم هذا مما لا ينبغى أن يتصل به رد . لذا فصل الرد بألا الاستفتاحية عن جوابهم كأنه قول مستقل وقضية مستأنفة استئنافا « ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

هكذا ترى الأسلوب مؤكدا بتأكيدات عدة : أكد أولا بإنّ ، وثانيا بإعادة الضمير « إنهم هم السفهاء » ، وثالثا باسمية الجملة إذ لا يكون فى مقابل ما ردوا به إلا ذلك القول المستأنف المؤكد الذى قطع عن جوابهم قطعا « إنهم هم السفهاء » ، وإن السفاهة قد لبسوا منها شعارا ودثارا ، وحاطتهم من جميع جوانبهم ، وحاقت بهم من كل نواحيهم ؛ فإنه لا سفه بعد أن يكونوا على الحال التى هم عليها ، تلك الحال المعلومة لمن حولهم من كذب وفساد وتردد ، مرة إلى هؤلاء وأخرى إلى هؤلاء ، ثم لا يزالون يجهلون أن أمرهم مستور على الناس وأنهم لا يزالون يظنون أن مزاعمهم يستطيعون رواجها ، وأن دعاواهم لا يزالون يفهمون إقناع من حولهم بها ؛ ولكنه الجهل هو الذى غشى عقولهم وغبر آفاق نفوسهم ، فأصبحوا وقد جمدت مشاعرهم وتبلدت إحساساتهم فلا يدرون حقيقة أحوالهم . لهذا ترى القرآن يقول : « إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

ويحتمل أن يكون المعنى : لا يعلمون أن من حولهم يعلمون أحوالهم ، أو لا يعلمون أن الله عليم بكل شىء فهو عليم بخفى شئونهم وظاهرها ، أو لا يعلمون أنهم سفهاء نتيجة غبائهم وتبلدهم . كل محتمل ، ولكن أنسب هذه الوجوه أن يكون المعنى ولكن لا يعلمون أن الله عالم بشأنهم ؛ إذ لو أدركوا ذلك لتكشف عن أذهانهم غباؤها ، ولتفتق عن قلوبهم أغلفتها ، ولتقشع عن أنفسهم ظلامها ، فجهلهم بشأن ربهم جر عليهم نواحى الجهل كلها ، فجهلوا بغبائهم

مكتبتنا العربية

أنهم سفهاء، وجهلوا أن الناس بحالهم يعلمون نتيجة جهلهم بالله وما يجب له من علم محيط بالسر وأخفى ، ألا بحق إذ جهلوا شأن ربهم إنهم هم السفهاء ولكنهم يجهلون .

وهكذا شأن المنافقين فى المجتمع يرمون غيرهم بدائهم فى قحة وتبجح ، إذ أنهم بانحرافهم عن الجادة ومرانهم على الكذب والادعاء أصبحوا لا يبالون ؛ وإن أزموا بالحجة فزعوا إلى البذاءة والشتائم ، لأنهم إذ يواجهون بحقيقة باطلهم ، وإذ تحوطهم الحجة ويحصرهم البرهان ترى ما خيلوه فى أنفسهم من حجج ومعاذير ظانين أنهم يستطيعون أن يواجهوا بها مخاطبيهم ترى ما خيلوه لأنفسهم وما زوروه من قول زائف ، تراه عند المواجهة يفر من بين أيديهم خجلا متستراً بأستار الخزى فما هو إلا أن يواجهوا حتى ترى أيديهم قد صفرت من الحجج وساحاتهم قد خلت من المعاذير ، وما كان فى كل عصر من العصور من ضرر بالمجتمع إلا بأمثال هؤلاء المنافقين . وإنه ما من أمة طهرت من أمثال هؤلاء إلا كانت خطواتها إلى الأمام واسعة ، وتدرجاتها فى مدارج الكمال قوية مسرعة . وإنا لا يهمنا فى تلك المناسبة من أمل يحقق وأمنية تتم ، إلا أن يطهر الله شعبنا وشعوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من ذلك العنصر ، عنصر المنافقين الخبيث المنتن ريحه المؤذى جواره المعطل لمن هم فيه من شعوب عن السير إلى الغاية . ألا قاتل الله المنافقين .

«وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون».

قد بينت الآيات السابقة حالهم حين ينهون عن سوء وحين يؤمرون بخير ، وأنهم فى هذا إنما يلجئون إلى المبالغات فى التبرؤ شأن المفجوع الذى فوجىء بالكشف عما حاول ستره أو إلى البذاءة والسفه انفجاراً عن ضغط الحجة وأزمة البرهان ؛ وفى هذه الآية يبين القرآن سيرتهم وما هم عليه من غير نهى ولا أمر ليكون ذلك تعليلا لما يردون به عند المواجهات إذ أن من حاله هو تلك الحال ، وأنهم يلقون الناس بوجوه مختلفة فإن لقوا المؤمنين قالوا لهم إنا مثلكم مؤمنون ، وإذا لقوا إخوانهم الشياطين قالوا لهم إنا معكم فى عقيدتكم وتقريركم ما آمنا ولا صدقنا ولكننا بهم مستهزئون . وانظر إلى ما سلكوه فى الإخبار عن أنهم مستهزئون بالمؤمنين ؛ فتراهم قد أكدوا وبالغوا فى التأكيد ، فجاءوا بأداة الحصر ، وجاءوا بالجملة اسمية تطمينا لشياطينهم على أحوالهم ، ويحدثون شياطينهم عن مقابلة المؤمنين بأنهم مستهزئون ولم يصدقوهم فيما أخبروهم عن واقع أمرهم ، ألا إنهم إنما يقولون ذلك وقاية لأنفسهم ، وبعداً بها عن المؤاخذة والإيذاء ، ولكن لا يريدون أن يخبروا عن حقيقة ما فى نفوسهم

مكتبتنا العربية

إبقاء على الاحتفاظ بشأنهم أمام إخوانهم ، ألا وإنهم مهما حاولوا فليسوا بمخفين شأن أنفسهم ، ولا مقيمين لها وزنا فى نظر شياطينهم ، فهم نازلون نازلون وصاغرون صاغرون مهما حاولوا .

وإذا نظرت إلى الأسلوب وتمعنته وجدت فيه عجائب البلاغه وآيات الإعجاز : يعبر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة ، إيذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين ولا طمأنينة منهم إليهم ، فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم ، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم فى عرض طريق أو فى مكان عمل عن مصادفة . أما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون وإليهم يتسارون ويتحادثون ؛ لذلك هم بهم يخلون ولكن للمؤمنين منهم لقاء عارض وتقابل عن مصادفة ، هذا أولاً . وترى القرآن يحدد ما فى نفوسهم فتراهم إذ يحدثون المؤمنين لم يزيدوا عن أن يخبروا بأنهم آمنوا غير مؤكدين ولا مبالغين ، وإذا تحدثوا إلى شياطينهم أكدوا وبالغوا فى التأكيد وعللوا فقالوا إنا معكم ، ثم يجيبون عما يرد عليهم فى ذلك القول إذا كنتم معنا فما قولكم لهم آمنا ؟ فجواب هذا إنما نحن مستهزئون ، فيؤكدون ويدفعون ما يرد من اعتراضات على أخبارهم ومحادثاتهم ليبقوا على منزلتهم فى نفوس شياطينهم . نعم ما أعلى ذلك الأسلوب وما أروعه ! يحدد حال هؤلاء تحديداً يكشف للسامع واقع حالهم وحقيقة أمرهم ، وهكذا المنافق مهما حاول ستر ما خبأ فى نفسه لابد أن تغلبه جوارحه التى ضغط عليها فى توجيهها ، فرة يدل عليه ما يبدو فى وجهه من بشر أو عبوس أو تقطيب أو انبساط ، وأخرى يغلبه لسانه بما يهتك أستاره ويكشف عما فى نفسه كما تراه ها هنا ، إذا لقوا الذين آمنوا لم يزيدوا عن قولهم آمنا وإذا خلوا إلى الشياطين قالوا مؤكدين إنا معكم ودافعين ما يرد بقولهم إنما نحن مستهزئون بتأكيد التعليل أيضا وتثبيت الدليل ، وبهذا وأمثاله يفتضح أمر المنافقين .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإن الله يعلم بأن المنافقين فى كل شعب مفضوح أمرهم مكشوف سترهم ، ولكنهم إنما يعيشون فى المجتمع فى منازلهم بين أفراد الشعب لإهمال الشعب نفسه ، وإن الأمم لتختلف فى مواقفها إزاء أمثال هؤلاء ؛ فمن أمة تسارع إلى استئصالهم حتى يطهر المجتمع وتزال من طريقه العوائق والمعطلات ؛ ومن أمة لا تعنى بذلك فتزيد فى طريقها الأشواك وتعظم فى سبيلها إلى غايتها المعوقات . فاللهم رشادا وتوفيقا إلى تميز المنافقين من المخلصين تميزا يبعد فيه عن الهوى ويجانب فيه الغرض حتى يكون تميزاً صحيحا ليجزى كل فريق بما يعمل وبما يستحق .

قال الله تعالى « الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

لما وضحت الآيات السابقة شأن المنافقين وما هم عليه وما يقابلون به المؤمنين وما يقابلون به الشياطين ، كان لابد أن يكون للسامع سؤال : إذا كان هذا شأن هؤلاء فكيف تركهم الله ولم يعاقبهم ؟ فكان الجواب « الله يستهزىء بهم » وليس مهملهم ولا تاركهم ، ولكن لما كان شأن القوى مع الضعيف والمتمكن مع المزعزع والمحيط علماً بكل الشئون مع الجاهل بكل شىء ألاَّ يهتم بإساءة المسىء وسفه السفيه فلا يهتم بمعاجلة ذلك الضعيف بالعقوبة لأنه إذا مرت فرصة فلديه فرص أخرى إذ كل الشئون خاضعة له فيوجه العقوبة إلى المسىء فيما يشاء من زمان وكما يشاء من مكان وعلى ما يشاء من حال ، فعبر القرآن عن شأن الله مع هؤلاء بالاستهزاء على سبيل الكفاية ، لأنه يراد هنا من الاستهزاء لازمه وهو عدم العناية بما يأتيه هؤلاء لأنه محيط بظروفهم قادر على شئونهم جميعها متمكن من جميع نواحيهم ، فهو مدخر لهم عقوبة منكية فيما يحدد لها من زمن وما يشاء لها من مكان وما يخصص لها من مآل .

ذلك هو ما يراد التعبير عنه بالاستهزاء ، فهو مما لا يعبر به فى جانب الله ؛ ولذلك تراه قد أتبع الاستهزاء بهم بمده لهم فى طغيانهم إذ المعنى من قوله « ويمدهم فى طغيانهم » أى يطيل لهم وجودهم فى مهاوى الطغيان حتى تكون أخذته لهم أخذة رابية ، وإيلام العقوبة لهم إيلاما محضاً إذ طول الزمن بهم فى الطغيان مما يوجب غرورهم بأنفسهم ويخطر ببالهم أنهم قد مكن لهم ، فإذا أصابتهم الصاعقة وهم فى غرورهم وظن تمكنهم كانت أقسى عليهم وأمر . وقوله : « يعمهون » حال من الضمير فى يمدهم ؛ أى أن الله يطاول لهؤلاء فى الطغيان حال كونهم عمين عن وجه الصواب ونور الحق ، فهم فى سيلهم حائرون ، أإلى المؤمنين ينحازون أم إلى الكفار الشياطين يتحيزون ؟

وهكذا شأن المنافق ذى الوجهين : تراه دائماً معوج السير حائر الانجاه ، إن سار خطوات يميناً سار مثلها شمالا ، وإن تقدم خطوات رجع إلى الوراء أخرى ؛ ذلك لأنه لم يستقر فى نفسه عقيدة بهذا ولا عقيدة بذاك ، ولم تطمئن نفسه للاستمساك بمبدأ من المبادىء ، فهو مروع القلب حائر النفس زائغ البصر لا يطمئن لأحد فى المجتمع ولا يطمئن أحد فى المجتمع إليه ، فلا يجدون لأنفسهم متجراً إلا الإيقاع بين الناس وجمع أحطاب الفتنة وإذكاء نارها ؛ ألا قاتلهم الله وطهر منهم كل الشعوب حتى تعيش آمنة مطمئنة . اللهم حقق وأنت العليم الخبير .

حامد محمد

مكتبتنا العربية

السنة

٢ ـ التطهير فى الاسلام

من المثل العليا فى التطهير ـ رجال ونساء يجودون بأنفسهم لله عز وجل ـ ستر الله وكنفه ـ الأدب مع الله ـ الخوف منه والرجاء فيه .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ؛ فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ، فهو الى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » ، فبايعناه على ذلك . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

بعد أن عاهد النبى ﷺ أصحابه وأمته على التطهير من هذه الموبقات الست : أصول الرذائل ، وجماع المآثم ـ بين أنهم فى الوفاء ببيعته على ثلاث درجات ، بين كل درجة ودرجة من التفاوت والفضل ما لا يقدره إلا الله عز وجل ، بل إن أهل الدرجة الواحدة فى الفضل والمنزلة ليسوا سواء .

أما أهل الدرجة الأولى فقد وفوا بعهد الله كاملا غير منقوص ، فوفى الله لهم بعهده وضمن لهم على لسان رسوله أجرا عظيما ، هو النعيم المقيم ، والمقام الكريم ورضوان من الله أكبر « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

وأما أهل الدرجة الثانية فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات شيئاً ما عدا الشرك الأكبر ،

مكتبتنا العربية

فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، غير أن الله طهرهم بإقامة الحاكم الحدَّ عليهم ، إذ يقطع يد السارق ، ويجلد أو يرجم الزانى ، ويقتل القاتل ، ويجلد القاذف . وهكذا كانت العقوبة ماحية لذنب صاحبها مطهرة له ، حتى يلحق بالسابقين ، ولا حرج على فضل الله سبحانه ؛ وأما أهل الدرجة الأخيرة فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات شيئاً ـ ما عدا الشرك كذلك ـ إلا أن الله تعالى سترهم ، فإن تابوا وأحسنوا فإن الله يتقبل توبتهم فضلا منه وكرما ، وإلا فأمرهم مفوض إلى ربهم ، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم .

وليس عجباً أن يغفر الله لمن تاب إليه وأناب ؛ ولو بلغت ذنوبه عنان السماء ، أو أدركته منيته قبل أن يعمل بعد توبته عملا صالحاً ، وحسبنا من الشواهد الكثيرة على هذا ما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه فى الحديث القدسى عن النبى ﷺ عن ربه عز وجل قال : « يابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ؛ يابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ؛ يابن آدم ، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة [1] » ، وما رواه الشيخان وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفساً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فسأله : هل له من توبة ؟ فقنطه من رحمة ربه ، فكمل به المائة ؛ ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقربه من رحمة ربه ، ليعلم أنها أوسع من ذنبه ، وأمره أن يهجر هذه الأرض التى عصى الله فيها إلى أرض سماها له ليعبد الله بها مع قوم عابدين . ولكنه قضى نحبه فى نصف الطريق ! فاختصمت فى شأنه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان قضاء الله الرحيم ، الذى يغفر الذنب العظيم ، للأولين على الآخرين [2] .

ومن هذا القبيل قصة الكفل ؛ أخرجها الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : كان فيمن كان قبلكم رجل يسمى الكفل وكان لا ينزع عن شىء ، فأتى امرأة علم بها حاجة فأعطاها ستين ديناراً ، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت ، فقال ما يبكيك ؟ فقالت لأن هذا عمل ما عملته قط وما حملنى عليه إلا الحاجة ! فقال أنت تفعلين هذا من مخافة الله تعالى ؟ فأنا أحرى بذلك ، فاذهبى ولك ما أعطيتك ، ووالله

(١) العنان : السحاب وزنا ومعنى ، وقراب الأرض بالضم ويجوز الكسر : هو ما يقارب ملأها .

(٢) اكتفينا بمعنى الحديث إجمالا لشهرته فى مواطن كثيرة ، وأقربها رياض الصالحين .

مكتبتنا العربية

لا أعصيه بعدها أبداً ؛ فمات من ليلته ! فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل . فعجب الناس من ذلك حتى أوحى الله إلى نبي زمانهم بشأنه .

بل ليس عجباً أن يغفر الله تعالى لمن شاء من عباده الذين ماتوا قبل أن يتوبوا مما اجترحوا من كبائر الإثم - إلا الشرك - وليس لنا أن نحكم على أحد معين من أهل التوحيد بالنار بالغة ما بلغت ذنوبه وسيئاته ، فإن هذا سوء أدب مع الله عز وجل وافتيات على شئونه ، وانتهاك لحرماته . وفي الصحيح أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله تعالى : « من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان ؟ فإني قد غفرت له وأحبطت عملك ! » وجاء في الصحيحين وغيرهما أن بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من شدة العطش والحر فنزعت له موقها [خفها] فملأته ماء وسقته ، فشكر الله لها وغفر لها به ؛ ورويا مثل هذه القصة عن رجل كان يمشي بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فشرب منها فإذا كلب يلهث الثرى من العطش ! فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فملأ خفه من البئر وسقى الكلب ، فشكر الله له وغفر له بما صنع . وأعجب من هذين ما رواه الشيخان وغيرهما عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال : بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله تعالى له ، فغفر له .

وأكبر الظن أن هؤلاء جميعا تداركهم الله بفضل منه ورحمة قبل أن يتوبوا ، وجائز أن يكون الله قد من عليهم فوفقهم للتوبة حين وفقهم لهذا الصنيع الذي شكره لهم ، وجعله مع التوبة سبب مغفرته ورضوانه .

وأيا ما كان الأمر فلا تزال للملوك أسرار ، ليس من أدب العبيد أن يتجسسوا عليها ، بله أن يقتحموا حماها .

وإذا لم يحل لأحد أن يحكم على آخر من أهل القبلة بعذاب الله وسخطه ، فلا يحل له كذلك أن يحكم لأحد بالغة ما بلغت حسناته وخيراته ، بنعيم الله ورضوانه ، ما عدا المبشرين بالجنة على لسان المعصوم صلوات الله عليه وسلامه ، فإن الأعمال بالخواتيم ، ولا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه .

غير أن ستر الله لعبده وكنفه عليه في الدنيا أمارة على كنفه عليه ورضاه عنه في الأخرى ومن دلائل هذا ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه [ستره ورحمته] فيقرره

مكتبتنا العربية

بذنوبه ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فإني قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته » .

ولا يغرنّ أحدا ما توسوس به نفسه . أو ما يخدعه به شيطانه ، من سعة فضل الله تعالى وعظيم رحمته ؛ فإن ذلك من الحق الذى يراد به الباطل ، ومن الخير الذى يتوسل به إلى الشر والأذى ! فمن تلا قوله تعالى « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » وقد قيل إنها أرجى آية فى القرآن الكريم ، فليتل بعدها « وإن ربك لشديد العقاب » ، ومن روى أحاديث الرجاء فى الله فليرو معها أحاديث الخوف من الله ، ومن أحسن الظن به سبحانه فليحسن الأدب معه ؛ فإن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل (١) .

ويجمل القول فى هذا المقام أن يتأدب العبد مع ربه بأدب الخوف منه والرجاء فيه ، فلا يطغى خوفه حتى يقنط من رحمته ، ولا يطغى رجاؤه حتى يتهاون فى طاعته ، فإذا أحس بقرب قدومه على مولاه فليغلب الرجاء فيه ، وليحسن الظن به ، وليوقن أنه قادم على أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

وبعد ، فالناس فى التطهير أو التطهر من الموبقات على طبقات ، لا يحصيها إلا من فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات :

فمنهم من قوى إيمانه ، وعظم يقينه ، حتى جاد بنفسه - فى سبيل تطهيرها - لله عز وجل ، ومن هؤلاء ماعز بن مالك الأسلمى رضى الله عنه أتى النبى ﷺ فقال يا رسول ، إنى ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى ، فرده . فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إنى قد زنيت ، فرده الثانية . فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال هل تعلمون بعقله بأساً ؟ تنكرون منه شيئاً ؟ فقالوا ما نعلمه إلا وفى العقل ، من صالحينا فيما نرى . فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم .

ومن هؤلاء امرأة من جهينة ، أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنى فقالت يا رسول الله ، أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتنى بها ففعل ، فأمر بها فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال

(١) اقتباس من آثار الحسن البصرى ، وليس حديثا كما ظن بعض أهل العلم .

مكتبتنا العربية

عمر : أتصلى عليها وقد زنت ؟ فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل ؟ !

وأعجب من هذه امرأة من غامد - بطن من جهينة - قالت يارسول الله : إنى قد زنيت فطهرنى فردها . فلما كان من الغد قالت يارسول الله لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزا فوالله إنى لحبلى . فلما رأها لاتريد الستر على نفسها أمر بالإحسان إليها حتى تلد وترضع ولدها وتفطمه حتى جاءت به وقد أكل الطعام ، فدفعه إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فرجمت ، وكان ممن رجمها خالد بن الوليد فنضح الدم على وجهه فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبه إياها فقال : مهلا يا خالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له .

وصاحب المكس - أو الماكس - هو الذى يجبى الضرائب من الناس بغير حق . والمكس من أقبح المعاصى والذنوب الموبقات ؛ لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده . وفى مسند الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ : لا يدخل الجنة صاحب مكس ، قالوا هو العشار الذى يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية ، كان يأخذ من التجار إذا مروا به مكساً باسم العشر . وأما من يعشرهم [1] على ما فرض الله سبحانه لحسن جميل ، وقد عشر جماعة من الصحابة للنبي ﷺ ، وللخلفاء بعده ، فكانوا يأخذون عشر ما سقته السماء ، وعشر أموال أهل الذمة فى التجارة .

وأعجب من هؤلاء جميعاً رجل تلقى امرأة تريد الصلاة فغشيها وقضى حاجته غصباً ، فصاحت ! فانطلق ؛ فانطلق خلفه عصابة من المهاجرين فأخذوا رجلا دلت عليه غلطاً فأتوها به ، فقالت نعم هو هذا ، فلما أمر النبي ﷺ به ليرجم قام صاحبها الذى وقع عليها فقال يا رسول الله أنا صاحبها ؛ فقال لها اذهبى فقد غفر الله لك ، وقال للرجل قولا حسناً ، وأمر بالذى تجللها أن يرجم ، فرجم ، وقال : لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم ! [2]

ومن الناس من لم يقدر على تطهير نفسه جهراً ، أو قدر عليه ولكنه آثر ستر الله تعالى فطهر نفسه فيما بينه وبين ربه سراً ، ومنهم من تولى الله تطهيره بما ابتلاه من ضروب المحن والبلايا ! !

وإذا ضاق المقام عن استيفاء البيان فموعدنا الجزء التالى وبه الخاتمة إن شاء الله تعالى .

طه محمد الساكت

---

[1] عشرهم يعشرهم بالضم عشراً بضم العين : أخذ عشر أموالهم ، ومنه العاشر والعشار بالتشديد اه مختار .

[2] راجع كتاب الحدود فى تيسير الوصول وغيره .

مكتبتنا العربية

كيف ننتصر على أنفسنا

تنظيم العلاقة بين الارادة والغرائز

يخطىء الذى يزعم أن الإنسان فى هذه الحياة مخلوق أعزل ، قد شد وثاقه إلى عجلة الكون ، وسخر تسخيراً بطبيعته وطبيعة الأشياء ، كما يخطىء الذى يزعم أن الانسان فى هذا الكون سيد مطلق اليدين ، يتصرف بملء حريته فى طبائع الأشياء وطبيعة نفسه .

وعبثاً حاولت بعض المذاهب الفلسفية أن تصوره لنا فى أحد هذين الطرفين :

فالحقيقة ، كما قلنا ونقول ، إن الانسان مسير مخير معا : ولكنه يقوم بهذين الدورين فى ميدانين مختلفين .

وليس من العسير علينا فى كثير من الشئون ، أن نتبين ماهو من عمل الطبيعة القاهرة ، وما هو من عملنا الحر المستقل ؛ غير أن هناك حالات خاصة تلتبس فيها المعالم ، وتشتبه فيها الحدود ، ويدق الفصل فيها على غير الناقد البصير ، ومن هنا يميل أكثر الناس فيها إلى التنصل من مسئولياتهم ، وإلقاء عبئها على كاهل الطبيعة ، زاعمين أنهم كانوا من نوعين بحركة قسرية لا حيلة لهم فى وقفها ولا تصريفها .

تلك هى الحالات التى يلتقى فيها عمل الغريزة وعمل الإرادة ، ويكون هذا استمرارا لذلك حتى يخيل للمرء فى بادىء الرأى أنه كان معطل الإرادة أو مسلوبها ، وأنه كان يتحرك حركة آلية ليست من صنعه ولا من كسبه .

لا جرم كان من أول مهمات المربى الحكيم - حين يتولى قيادة الإرادة وتربيتها على أخذ الأمور بالقوة والحزم - أن يكشف الغشاوة التى تحيط بهذه المنطقة المختلطة المشتبهة ، وأن يبصر العقول بكنه الحركات النفسية والجثمانية التى تدور فى فترة هذا الاتصال ، ليعرف كل امرىء إلى أى حد تنتهى حركة الفطرة فيه ، وسلطانها عليه ، وعند أى نقطة تبدأ حركة اختياره واقتداره ، وسلطانه ومسئوليته .

ولسوف يرى المطلع على وجهة نظر الإسلام فى ذلك أنها نظرة بريئة من عنف البرهمية

مكتبتنا العربية

وجفاف البوذية ، وغرور أدعياء الصبر والجلد فى الفلسفة الإغريقية ، وأنها فى الوقت نفسه منزهة عن ميوعة اليسوعية [١] وخور الجبرية ، ورخاوة الكسالى فى كل ملة ونحلة . فبينما يذهب الفريق الأول إلى إنكار الغرائز ، والمكابرة فى سلطانها ، ودعوى القدرة على محوها واستئصالها ، وبينما يميل الفريق الثانى إلى التسليم لها ، والانهزام أمامها ، والنزول الكلى على حكمها ، تقف الدعوة الإسلامية على الجادة الوسطى مشرفة بنظرها على جانبى الطريق ، فتعترف بسلطان النزعات الجبلية إلى حد محدود ، ثم تترك المجال للهمم والعزائم فى الوقوف بتلك النزعات عند حدها ، ومقاومة الاسترسال معها فى غير ضرورانها المليئة ، وصدق منزل هذه الشريعة الحكيمة فى وصفه لدعوته « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

فلننظر الآن فى الصلة بين هذين العاملين حين يلتقيان : عامل الجبلة وعامل الاكتساب الإنسانى . ولنبرز الخط الفاصل الذى رسمه الإسلام بينهما ، حتى جعلهما لا يبغيان ، ولنتأمل كيف كان الإسلام فى تطبيقه لهذه الحدود على طائفة من الانبعاثات والانفعالات ، قد وضع أوضح منهج عملى لتربية الإرادة ، وتدريبها على التزام موقف الحكمة والهدى ، والثبات أمام تيار الهوى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وإليك مثلا من ذلك :

١ — فى كظم الغيظ ، والحد من الغضب .

كلنا نعرف أن ظاهرة الغضب ظاهرة مزدوجة : فيسيولوجية وبسيكولوجية ؛ أعنى أنها عضوية نفسية فى وقت واحد . ألسنا نرى الانفعال النفسانى فيها تصحبه ثورة دموية ، تغلى منها مراجل الصدر ، وترتفع بها حرارة الجسم ، وقد تتقلص منها عضلات الوجه ... فى أعراض تشبهها ... ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجهر بالقول ، والبطش باليد ، إلى غير ذلك ؟

ها هنا يتدخل الفرقان السماوى فيفصل هذه الظواهر إلى شطرين اثنين ؛ تاركا الشطر

---

(١) فرقة من المسيحية

مكتبتنا العربية

الأول منهما لحكم الجبلة الذى لا سلطان لنا عليه ، ولا مسئولية علينا فيه . أما الشطر الثانى ، وهو شطر اللواحق ، فان هذا التوجيه الحكيم ينبهنا إلى أنه - فيما عدا الحالات المرضية الشاذة ، التى يأخذ الغضب فيها صورة تشنجية لا يسيطر عليها العقل ولا الإرادة - شىء نصنعه نحن باختيارنا ، داخل فى نطاق مسئوليتنا ، حتى لو فرض أن جهاز النطق وجهاز الحركة يقومان بوظيفتهما إذ ذاك بطريقة آلية اندفاعية ، فان نوع الكلام ونوع الحركة يبقيان خاضعين لشىء من التفكير والإرادة ، بحيث نستطيع أن نوجههما الوجهة التى نريدها . ولذلك يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، ما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا . ذلك أن قصارى الثورة الغضبية - حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول أو بالفعل أو بهما معا - أن تكون كالشحنة الكهربائية التى لابد لها متى اندفعت أن تفرغ ؛ فلا سبيل إلى كبت حركتها ، ولكن لنا سبيلا إلى اختيار المجال الذى تفرغ فيه ، وذلك بوضع جهاز « مانعة الصواعق » فى مكان ما . وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل يستقبله ويتلقاه ، ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول . فكذلك نستطيع أن نتصرف فى موقف الغضب ، لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه .

فلنستمع إلى شىء من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية ، وفيما وراء تلك الحدود .

ففى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة تنفس بها عن صدورنا ، لا يأمرنا الرسول الحكيم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدر ، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الانفجار ؟ أليس كل ما يجىء وراء هذه الكلمة يعد نافلة وتزيداً تستطيع الطبيعة أن تستغنى عنه ؟ . فإذا ما دفعتنا حدة الغضب إلى شىء أكثر من القول ، وانبعثت

مكتبتنا العربية

فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوى يساير هذه الحركة الطبيعية أيضاً فى مبدئها ؛ ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيداً عن هدفها ، فلنستمع له عليه الصلاة والسلام حين يقول : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع »[1] .

هل نجد أيسر وأسرع ، وأدق وأنجع من هذا العلاج الروحى البدنى معاً ؟

٢ — فى الحب والبغض :

هذا الفرقان الحكيم بين نصيب الغريزة ونصيب الإرادة ، نجده بصورة واضحة فى ظاهرتى الحب والبغض ، وهما حالتان نفسيتان ، وليدتا أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا بعضها ؛ فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب الأذواق والآراء أو تباعدها ، أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأيا ما كان فهما من صنع الله مقلب القلوب ، وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التى لا تنكر : قرة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر وراحة ونعيم ، فى لقاء من تحب ومناجاته ، وأضداد ذلك فى لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة الذى رفعت عنا فيه الأقلام ، ولكننا فى غالب الأمر نضيف إليها آثاراً من صنعنا ، إذ نفرق فى المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا نسوى بينهما فى الحكم ؛ بل نكيل لهما بكيلين ، ونزن بميزانين : فنحابى من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ونغطى على حسناته . وهذا هو الجور الذى نهانا الله عنه ؛ إذ يقول عز شأنه : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » ويقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » هكذا حملنا الإسلام مسئولية عملنا ، وعافانا مما ليس من كسبنا : فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ، ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا فى ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل حق العدل بين زوجاته ، ثم يقول : « اللهم هذا جهدى فيما أملك ، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك »[2] .

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الأدب .

(٢) رواه ابن ماجه وأصحاب السنن .

مكتبتنا العربية

٣ — فى انفعالات الحزن :

وترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون فاندفعوا فى هلع هالع ، وجزع خالع ، اعتذروا بشدة الصدمة الأولى ، وبعجزهم فيها عن الصبر والتجمل . كلا إنها حجة داحضة ؛ ولله الحجة البالغة ؛ فإن للحزن أثرا طبيعيا لا جناح فيه ؛ وإنما السبيل على قول الهجر ، وفعل النكر ، الذى تبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضا نجد فى مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود . ففى الأثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى صلوات الله عليه دخل على ابنه إبراهيم وهو يعالج سكرات الموت . فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع . فقال له عبد الرحمن بن عوف : « وأنت يارسول الله » ! فقال : « يا ابن عوف . إنها رحمة ، إنها رحمة . ثم قال : إن العين تدمع . والقلب يحزن . ولا نقول إلا ما يرضى ربنا . وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها من محض عملنا ، واقعة تحت مسئوليتنا .

٤ — فى غريزة التشهى والتمنى :

وإليك مثالا آخر من هذه الطبائع ، المستعصية علينا فى نفسها ، الخاضعة لإرادتنا فى توابعها ولواحقها . تلك هى غريزة التشوف والتطلع ، التى أودعها الله فى فطرة الإنسان لحكمة بالغة ؛ فهى التى تحفزه إلى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية . فليس من الصواب مكافحتها ، بل ليس فى الطاقة اقتلاعها ؛ فان الطبع غلاب كل مغالب . ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها من طريقين : إما بتحويل اتجاهها ، وإما بوقف آثارها .

ومعنى تحويل الاتجاه أن نستبدل بالهدف الأول ، الذى اتجهت إليه رغبتنا بادىء ذى بدء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ريعوضنا منه . بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة . فالسياسة الرشيدة فى هذه الحال لا تعمد إلى كبت إرادة الطفل كبتا كليا ، بل تقدم له لعبة أخرى تشبهها أو تفضلها . غير أنها تكون عديمة الخطر . وكلما كان الاستبدال لما هو أنفس قيمة وأجزل نفعا ، دل ذلك على حصافة عقل المربى وكمال رشده .

مكتبتنا العربية

وهكذا علمنا القرآن كيف يكون موقفنا أمام إلحاح رغباتنا الجامحة : خطوراً يأذن لنا أن نشبع رغبتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبيث . وهذا هو علاج الجمهور والعامة . وطوراً يلفتنا عن هذا الوضع الرخيص كله ، ويصرف همتنا عن محقرات الأمور وسفسافها ، موجها إياها نحو معالى الأمور وأشرافها ، وهذه هى رتبة الصفوة والخاصة . وأياما كان فإنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى إطلاقا ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى . فلنستمع له حين يقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ثم يقول : « واسألوا الله من فضله » . وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه ؛ إذ قال له : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى » . وما أجمل الوصية الذهبية التى يقول فيها الرسول العظيم : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا . ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً : « من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكراً صابراً . ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ، ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منها لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً [1] » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذه هى سياسة تحويل الاتجاه .

وأما سياسة وقف السير فانها تتبع فى ظروف خاصة ، كأنها استثناء من القاعدة ؛ وحتى فى هذه الحالات الخاصة ، ليس المطلوب منا أن نسكت صوت رغائبنا ، وأن نحملها قسراً على الجمود والخمود ؛ فالله أرحم بنا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به ؛ وإنما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ، ولا نقـــدم له المادة التى يطلبها . وتلك هى السياسة التى رسمتها شريعة الصوم ، فطاما لنا عن المشتهيات إطلاقا فى أوقات معلومة . تلك هى سياسة قمع الهوى التى يقول فيها الكتاب المجيد : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » .

ولا أطيل فى سرد الأمثلة وتعداد الشواهد ؛ فكل غرائزنا ونزعاتنا على هذا النمط ،

---

(١) رواية الترمذى فى صفة القيامة .

مكتبتنا العربية

لم يجعل الله لنا سبيلا عليها فى تكوينها ولا انبعاثاتها الطبيعية ، ولكنه جعل لنا عليها سلطانا فى ضبطها ، وتوجيهها ، وتنظيم آثارها العملية .

* * *

وإلى القارىء النجيب صورة حسية ملموسة ، لعله يكون قد فهمها من خلال هذا البيان : فليتصور جهازاً متحركا ، يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية :

(١) مفتاح المحرك (الكونتاكت) .
(٢) دفة التوجيه (الدريكسيون) .
(٣) الرباط (الفرملة) .

وليفترض أن مفتاح المحرك فى اتصال دائم بالمحرك ، وأن المهندس أو السائق لا يستطيع ، لأمر خارج عن إرادته ، منع هذا الاتصال ، وأنه ليس فى متناول يده إلا « الدفة » و « الرباط » - فهل يخليه ذلك من مسئولية المصادمات والتردى فى الحفر التى فى الطريق ، على حين أنه كان فى استطاعته أن يستعمل : إما « الدفة » ، للتحويل عن الخطر ، وإما « الرباط » لوقف العجلات عن السير ، مع بقاء المحرك يدور على نفسه .

ذلك هو مثل الوسائل الخارجة عن ملكنا (القلب الذى مفتاحه بيد الله) ، والوسائل التى خوّلها الله لنا فى قيادة أعمالنا (العقل والإرادة) ، وهذه الوسائل الأخيرة هى الفيصل بين طبيعة الكائنات الحية المسخرة لغرائزها ، وطبيعة الإنسان المسيطرة على قواه ، المسئول عن حسن سيرها . فلو تناول الإنسان كل ما اشتهى ، ومد يده وسمعه وبصره إلى كل ما يهوى ، وترك نفسه كالكرة أمام صولجان عواطفه ، يطيعها طاعة عمياء ، دون تروٍّ ولا توقف ، ولا تنظيم ولا تنسيق ، فأى ميزة يمتاز بها عن الحيوان الهائم على وجهه ، الذى لا عقل له ولا عقال ؟

ألا فلنفكر فى صلة النسب بين هاتين الكلمتين : كلمة « العقل » وكلمة « العقال » فان العقل ما هو إلا عقال معنوى ، وقيد أدبى ، جامع مانع ، جالب دافع ؟ فبه تقيد حركاتنا وتحجزها عن الشرود والوقوع فى مهاوى الخطأ والضلال ، وبه تقيد شوارد العلوم والمعارف التى تهدينا سواء السبيل . وإن هدى الله هو الهدى .

محمد عبد الله دراز
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب فى العقد

١ — نحب ونحن نتكلم عن طريق الإفادة من الفقه الإسلامى وعن الأزمة التى يعانيها منذ قرون طويلة [١] ، أن نؤكد أن هذا الفقه غنى كل الغنى بأحكامه وحلوله التى جاء بها لمختلف المسائل والمشاكل التى كانت فى عصوره المختلفة ، ولكن مما ينقصه أن يقوم الفقهاء والمعنيون بالدراسات الفقهية فى هذا الزمن بأمرين :

(ا) العمل على أن يتطور « الفقه » - فى حدود الكتاب والسنة وأصوله المعروفة - ليعيش فى كل عصر مع الزمن ، لا على هامشه كما هو الحاصل الآن بكل أسف ، وأن يكون هذا على غرار ما كان من الصحابة والفقهاء الأولين ، فإن هذا التطور فى فقه الإسلام بدأ منذ عصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، بل منذ عهد عمر بن الخطاب نفسه حين كان الإسلام غضاً وقوياً ، وحين كانت تعاليم الرسول صلوات الله عليه لا تزال حارة دافقة خصبة تحس بها قلوب المسلمين جميعاً [٢] .

نعم إن الأحداث التى حدثت بين عصر الرسول وعصر الفاروق ، كانت من الكثرة والقوة والسعة والعرض بدرجة استلزمت هذا التطور ؛ فليس يقاس الزمن بالطول فقط ، بل بالعرض أيضاً ، وربما كانت الفترة القصيرة منه أحفل بالأحداث من الفترة الذاهبة فى الطول إلى مدى بعيد ، ولعل الفترة التى مرت منذ ثورة الجيش المصرى المباركة مصداق ما نقول هذه الأيام .

(ب) استخلاص النظريات الفقهية العامة التى تندرج تحت كل منها طائفة عديدة

---

[١] راجع العددين الماضيين : جمادى الأولى وجمادى الآخرة .

[٢] مثل تطور الفقه فى غير الاسلام كثيرة ، ونشير هنا إلى بعض ما كان من ذلك أيام سيدنا عمر ابن الخطاب : إمضاء الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث طلقات ، إسقاطه سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، وعدم قسمة أرض العراق ونحوها بين الفاتحين .

مكتبتنا العربية

من الحلول والأحكام التطبيقية ، بدل أن يظل الفقه الإسلامى على ما نعرف من كثرة التفريعات ، دون العناية بتأصيل النظريات العامة .

وهذا على عكس ما يتميز به الفقه الغربى هذه الأيام ، نعنى العناية باستخلاص النظريات وتأصيلها ، ثم دوران البحوث عليها ، وأخيراً يجىء التطبيق والتفريع .

وليس هذا الذى ندعو إليه هنا بجديد كل الجدّة ، فقد عنى غير قليل من الفقهاء بهذه الناحية ، وإنما الجديد هو أن نستأنف عمل هؤلاء السابقين ، ونستطيع أن نذكر من بين هؤلاء الفقهاء الأمجاد : ابن رجب الحنبلى صاحب القواعد الفقهية ، وابن جُزَى المالكى صاحب القوانين الفقهية ، وابن نجيم الحنفى ، والإمام جلال الدين السيوطى الشافعى ، وكلاهما صاحب كتاب فى الأشباه والنظائر .

٢ — وبعد أن أشرنا إلى هذين الأمرين اللذين يجب العناية بهما هذه الأيام أشد عناية ، نذكر أن كبير رجال القانون فى مصر وهو الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى ذكر فى بعض دروسه فى قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من جامعة القاهرة منذ بضعة أسابيع ، أن الفقه الإسلامى لم يعرف نظرية السبب فى العقود .

وللأستاذ الكبير كل العذر حين يذهب إلى هذا الرأى ، فإن أحداً من رجال الفقه الإسلامى فى مصر لم يحاول التعمق فى البحث والتنقيب فى التراث الفقهى الإسلامى فى هذه الناحية ، مع أنه من الحق أن نؤكد أن جرثومة هذه النظرية نجدها واضحة فيما ترك بعض الفقهاء القدامى ، وإن كنا قد أغفلنا متابعتهم فى البحث قروناً طويلة فى هذا السبيل . ولولا هذا الإغفال من جانبنا ، الذى كان نتيجة الكسل والقناعة العلمية بما لدينا من قديم لعرفنا أن الفقه الإسلامى عرف هذه النظرية فى أسسها وأصولها العامة ، بل وفى كثير من فروعها وتطبيقاتها ، هذه النظرية التى عرفها البحث القانونى فى الغرب منذ عصور طويلة .

٣ — ذلك ، أنه من الحق أن نقرر أن رجال الفقه والقضاء فى الغرب قد عنوا بهذا البحث الدقيق منذ قرون طويلة . وكان من هذه العناية ، ومما امتازوا به من الروح التحليلية والفلسفية ، أن تكونت عندهم نظرية لسبب العقد أو الالتزام بعامة .

نجد هذا لدى الرومان فى عصورهم المختلفة ، ولدى الفقهاء الفرنسيين وغيرهم فى الزمن

مكتبتنا العربية

القديم والحديث ، ثم لدى رجال القانون فى مصر متأثرين ومستلهمين رجال القانون فى أوربة [١].

٤ — ومن أجل ذلك ، ومن باب التطبيق لما ندعو إليه من ضرورة استخلاص النظريات العامة فى الفقه الإسلامى ، رأينا أن نحاول بهذه الكلمة والتى بعدها إن شاء الله تعالى بيان ما قد يكون من التفات الفقهاء المسلمين لاعتبار سبب صحيح للعقد أو الالتزام ، وذلك ليترتب عليه أثره الشرعى ، ثم مقدار عنايتهم بهذه الناحية .

وهنا ، نذكر أنه إن فات هؤلاء الفقهاء أن يبحثوا « سبب العقد » فيما تركوا لنا من تراث فقهى مجيد ، فإنه لم يفتهم بحث ذلك فى علم أصول الفقه . وقد كانوا بحاجة لهذا البحث ما دام السبب الصحيح شرعاً يعتبر شرطاً لابد منه فى العقد والالتزام ، إن لم نقل يكاد يكون ركناً من أركانه . وبخاصة ، وهذا يعم جميع أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، فكل من ضروب المعاملات لا بد له من سبب شرعى يختلف باختلاف العقود والتصرفات .

٥ — وبحث السبب فى العقد يتطلب منا أن نعرض لهذه النواحى :

(ا) تعريفه ومعانيه وما يراد منه فى الفقه .

(ب) الشروط التى يجب أن تتوفر فيه ليكون سبباً صحيحاً شرعا يجب رعايته .

(جـ) حكم التصرف المجرد عن السبب ،

٦ — فمن ناحية تعريفه ، نستطيع أن نذكر أن « السبب » فى باب العقود هو « الغرض المباشر المقصود فى العقد » ، وذلك أخذاً من كلام علماء أصول الفقه حين يتكلمون عن السبب أو الغرض أو المقصد .

ذلك ، بأنه من أصول الشريعة الإسلامية « أن كل فاعل عاقل مختار إنما يقصد بعمله غرضاً من الأغراض ، حسناً كان أو قبيحاً ، مطلوب الفعل أو الترك أو غير مطلوب شرعا » . [٢] ولهذا ، « قد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن القصود فى العقود معتبرة ،

[١] يرجع فى ذلك إلى النظرية العامة للموجبات والعقود فى الشريعة الاسلامية ، للدكتور صبحى محمصانى ، جـ ٢ : ٨٣ وما بعدها ؛ الوسيط للأستاذ السنهورى ، ص ٤١٧ وما بعدها ، وص ٤٣٥ وما بعدها ، وص ٤٧١ وما بعدها . وانظر أيضاً ، فى نظرية السبب بصفة عامة ، نظرية الالتزام فى القانون المدنى المصرى ، للدكتور أحمد حشمت أبو ستيت ، مطبعة مصر عام ١٩٤٥ م ، ص ١٦٦ وما بعدها .

[٢] الموافقات للشاطبى ، جـ ٢ ، ٢٢٧

مكتبتنا العربية

وأنها تؤثر فى صحة العقد وفساده وفى حله وحرمته ، بل أبلغ من ذلك ، وهى أنها تؤثر فى الفعل الذى ليس بعقد تحليلا وتحريما ؛ فيصير حلالا تارة وحراما تارة باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحاً تارة وفاسداً تارة باختلافها »[١] .

ونتيجة هذا كله ، أن يكون لكل فعل أو تصرف أو عقد غرض أوسبب يجب قصده ، و « أن كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لايشرع » كما يقول الإمام القرافى . أو كما يقول أيضاً فى موضع آخر ، « كل تصرف كان ، من العقود كالبيع أو غير العقود كالتغريرات ، وهو لا يحصل مقصوده ، فإنه لا يشرع ويبطل إن وقع » إلى آخر ما قال[٢] .

ولذلك ، امتنع بيع الحر ونكاح المحرم ، والإجارة على الأفعال المحرمة ، وتعزير من لايعقل الزجر كالسكران والمجنون ، فإن مقاصد أو أسباب هذه العقود والتصرفات لا تحصل بها ، والأمر واضح كما نرى .

٧ — على أن للسبب إطلاقات ومعانى عديدة مختلفة فيما بينها ، فلا ينبغى لنا أن نخلط بينها ، إذ لكل منها معنى خاص قد لا يكون هو المراد هنا ، وهذه الإطلاقات ـ كما يذكر الإمام الغزالى ـ[٣] هى :

(ا) ما به يحل ويحرم المال وغيره من موضوعات العقود ، وهذا كالبيع والإجارة والزواج وغير ذلك من العقود ، فالعقود على هذا تعتبر أسباباً ظاهرة لحل أو حرمة موضوعاتها التى ترد عليها .

(ب) الفعل المباشر الذى يؤدى إلى نتيجة ما ، كالرمى بالسهم أو الرصاص ، فإنه يعتبر سبباً لما ينتج عنه من القتل ، وإن كان هذا قد حصل بالإصابة فعلا لا بمجرد الرمى الذى يخطىء هدفه ، فهى على التحقيق سبب لعلة القتل . ومن هذا القبيل حفر البئر الذى يعتبر سبباً لموت من يتردى فيه ، وإن كان السبب الحقيقى هنا هو التردى فى البئر لاحفره ، ولكن سمى سبباً لحصول الهلاك عنده .

---

[١] إعلام الموقعين لابن القيم ، جـ ٣ ، ٩٦

[٢] الفروق ، جـ ٣ - ٢٥٤ ، وانظر أيضا ص ١٧١ - ١٧٢

[٣] المستصفى ، جـ ١ - ٩٣ - ٩٤

مكتبتنا العربية

(ح) ما يحسن إضافة الحكم إليه ، مثل ملك النصاب يعتبر سبباً لوجوب الزكاة ، دون حولان الحول عليه وإن كان هذا شرطاً لابد منه لوجوب الزكاة . فهنا ، نرى أن ملك النصاب هو سبب وجوب أداء الزكاة ، ومرور العام على هذا الملك شرط ضرورى لوجوبها .

٨ — وبعد الغزالى المتوفى عام ٥٠٥ هـ نجد غيره من الأصوليين قد تكلموا فى السبب وما يطلق عليه لغه ، ثم على ما يراد به فقها ، وعلى منزلته من الحكم الشرعى . ومن هؤلاء سيف الدين الآمدى المتوفى عام ٦٣١ هـ ، إذ يقول : « والسبب فى اللغة عبارة عما يمكن التوصل به إلى مقصود ما ، ومنه سمى الحبل سبباً والطريق سبباً ، لإمكان التوصل بهما إلى المقصود . وإطلاقه فى اصطلاح المتشرعين على بعض مسمياته فى اللغة ، وهو كل وصف ظاهر منضبط دل الدليل السمعى على كونه معرفا لحكم شرعى »[1] .

ومن هؤلاء الأصوليين أيضاً ، أبو إسحاق الشاطبى المتوفى عام ٧٩٠ هـ إذ يذكر أن المراد بالسبب ما وضع شرعا لحكمة يقتضيها ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سبباً فى وجوب الزكاة ، والزوال سبباً فى وجوب الصلاة ، والسرقة سبباً فى وجوب القطع ، والعقود أسباباً فى إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك ، وما أشبه ذلك »[2] .

٩ — وواضح مما تقدم ، أنه لا يراد بالسبب الذى نحن الآن بصدد بحثه فى العقد شىء من هذه المعانى التى يطلق السبب عليها بصفة عامة فى اللغة وأصول الفقه . وإنما المراد به هنا ما سبق أن ذكرناه من أنه الغاية أو الغرض المباشر المقصود فى العقد ، أى الذى دفع المتعاقدين إلى عقده . وهذا المعنى واضح من الشذرات التى نقلناها عن الفقهاء ، الآن عند ما أردنا تعريفه .

ونعتقد أخيراً ، أنه من الحق أن نؤكد ما قررناه سابقاً من أنه يمكن بشىء من البحث والاستقصاء استخلاص نظرية فى « سبب العقد » من الفقه الإسلامى ، هذه النظرية التى تقوم على وجوب تعرف إرادتى طرفى العقد والغرض أو المقصد الذى يستهدفانه من العقد .

وفى الكلمة الآتية تمام الحديث إن شاء الله تعالى ، بالكلام على شروط السبب والحكم الشرعى للتصرف المجرد منه .

الدكتور محمد يوسف موسى

---

(١) الأحكام ، جـ ١ ١٨١

(٢) الموافقات ، جـ ١ ، ١٨٥ .

مكتبتنا العربية

شهر التصرفات
بين القانون والشريعة

الغاية من التقنين الوضعى فى كل أمة تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات فى المعاملات الجارية بينهم ، وتدبير أمور الناس بما يحقق الصوالح العامة والخاصة ويدرأ الضرر عن المجتمع ، وهذا بعينه هو مقصد الشرع الإسلامى . بيد أن الأساس فى التقنين أفكار الناس وعقولهم فى نطاقها الضيق المحدود بحـــدود الزمان والمكان ، وقد تؤثر فيه الأغراض والأهواء ، ثم إن العقول بطبيعتها خطاءة ما لم يعصمها نور من الله .

أما الأساس فى الشريعة فوحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما نزل إلا ليكون منارة للعقول يهديها فى مشاكل الحياة الهائجة التى طالما ضل فى علاجها أئمة الاجتماع والاقتصاد والسياسة عند ما سلكوا غير سبيل الإسلام كضلال الملاح فى بحر لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

إن يد ذلك الشرع البصير قد غلت عن تدبير أمر الناس فى مصر منذ عشرات السنين فى الأمور المالية والجنائية ، وكم فه عن توجيههم برأى السماء ، وترك التدبير لآراء استعمارية مفروضة بقوة المدفع وقوة التقليد الأعمى ، حتى بلغ بنا الأمر على مر السنين أن كان البعض منا يقول : إنما الوحى من أوربا لا من الله .

فالمفروض علينا الآن لنرد الحياة القانونية إلى الإسلام فى انسجامه واعتداله ، أن ننظر إلى القوانين الوضعية المدبرة لنبحث مواضع التجديد فيها أو ما يظن تجديدا ، ونوازن بينه وبين آراء المجتهدين المستمدة من نور الكتاب والسنة ، فنرى أيها نقره وأيها نعدله وأيها نلغيه ، لنعود بقوانيننا إلى الصراط المستقيم .

ومسألة اليوم هى تحتيم القوانين المصرية شهر بعض التصرفات وإعلانها بتسجيلها فى مكاتب الشهر العقارى لترتيب آثارها عليها . فقد جاء فى المادة ٩٣٤ ، ١٠٥٣ من القانون

مكتبتنا العربية

المدنى والمادة ٩ من قانون الشهر العقارى أن جميع التصرفات الواردة على العقار التى من شأنها إنشاء حق من الحقوق العينية الأصلية كالملك فى البيع ، وحق الحبس فى الرهن ، والحبس فى الوقف ، أو التى من شأنها نقله أو زواله ، لا تترتب عليها هذه الأحكام إلا إذا شهرت بتسجيلها فى سجل الشهر العقارى . وهذه النصوص شاملة للعقود العوضية وعقود التبرعات كالهبة والوصية ، كما أنها شاملة للرهن والإيجار الزائد على ثلاث سنوات . والمادة الأولى من قانون الوقف تنص على أن الوقف لا يصح إلا إذا صدر به إشهاد أمام المحاكم الشرعية وضبط فى سجلاتها . ومقصود القوانين السابقة أن أحكام هذه التصرفات لا تثبت بين المتعاقدين أو فى حق الغير إلا بالتسجيل ، اللهم إلا فى عقد الرهن فإن التسجيل فيه شرط لنفاذه فى حق الغير ، وهو نافذ فى حق المتعاقدين من حين العقد . وقد أبانت المذكرات التفسيرية أن العقود مالم تسجل ليست إلا التزامات شخصية تترتب عليها الحقوق التى من شأن هذه التصرفات إفادتها ، كالتعهد بإتمام التصرف والمطالبة بباقى العوض واسترداده إن لم يتم التصرف . وأبانت أيضاً أن الوقف بدون إشهاد باطل .

ونحن نعلم من المنصوص فى الفقه أن التصرفات تترتب عليها آثارها بمجرد الإيجاب والقبول ، أو الإيجاب فقط فى الإرادة المنفردة دون اشتراط كتابة أو تسجيل . والذى دعا المقننين إلى القول بضرورة التسجيل هو ما شوهد من التحايل فى العقود والتلاعب بالحقوق وعدم احترامها بغية ابتزاز أموال الناس وإضاعتها عليهم ، فقد يبيع إنسان داره أو يرهنها ويقبض المال ، ثم يبيعها أو يرهنها لشخص آخر جاهل بالتصرف الأول . وقد يقف أرضه على مسجد ، ثم يعبث بالوقف فيبيعها أو يغتصبها غيره وتتعذر إقامة الدليل على الوقف . وهكذا أسرف الناس فى تجاحد الحقوق ، فروى شهر التصرفات العقارية ليكون عاصما من هذه الحيل ؛ فأصبح مريد الشراء أو الرهن لا يقدم إلا بعد علمه بخلو العين من الحقوق العينية ، وأصبح المالك والمرتهن آمنين من طغيان الغير على حقهما .

والفقه لا يعترض على صيانة الحقوق ، لكنه يعترض على الوسيلة التى اتبعت فى تلك ، ولكى نعرف رأيه ينبغى أن نتبين التكييف الفقهى للتصرف الذى لم يسجل .

يتبين من العرض السابق لما حوته النصوص والمذكرات أنه تصرف استوفى أركانه وشرائطه ، غير أن أحكامه لا تترتب عليه إلا بالتسجيل ، بمعنى أنه إن سجل نفذ وإن لم يسجل بطل ، ومثل هذا الوضع يحكم عليه الفقه بأنه تصرف موقوف على التسجيل ، ويتبين فى الوقف غير المسجل أنه باطل .

والشريعة : ترى أن هذه التصرفات قبل التسجيل صحيحة نافذة تترتب عليها آثارها بمجرد انعقادها شفاها أو كتابة ، وولى الأمر لا يستطيع أن يحكم على العقود النافذة إجماعا بأنها موقوفة بقوة سلطانه كما جاء فى قوانين التسجيل ، نعم نستطيع فى الوقف أن نصوب اعتبار واضع القانون الإشهاد من شروط صحته ، وذلك بأن يحكم عليه عند عدم الإشهاد بالبطلان أخذاً برأى من يذهب إلى بطلان الوقف كله كشريح وأحمد بن صالح وإحدى الروايتين عن أبى حنيفة ، ويحكم عند الإشهاد بصحته أخذاً برأى الجمهور .

أما فى عقود التمليك وعقد الرهن فاعتبارها موقوفة بأمر الحاكم غير جائز لأنه خروج على إجماع الفقهاء القاضى بترتب الملك على عقود التمليك وحق الحبس على الرهن فور حصولها إلا لمانع شرعى كبيع الفضولى .

ونظرة إلى متقدمى الفقهاء ترينا كيف وقفوا أمام مثل هذه المشكلة الاجتماعية : فقد كثر ادعاء الملكية لعقارات أو منقولات فى حوزة ملاكها الذين طالت مدة وضع يدهم عليها ، وربما حكم للمدعين بحجج زائفة تقدم منهم ، وكان فى ذلك خطر على الحقوق التى يجب أن تصان ؛ لأن وضع اليد المدة الطويلة ، من غير اعتراض من أحد عليه مع التمكن من الاعتراض قرينة عرفية على صحة اليد وكذب الدعوى ، فأجاز الفقهاء للحاكم علاجا لهذه المشكلة أن يمنع القضاة من سماع دعوى العقار بعد مضى المدة الطويلة .

نقل الحموى فى حاشية الأشباه عن يحيى المنقارى أن سلاطين آل عثمان أمروا قضاتهم فى جميع ولاياتهم أن لا يسمعوا دعوى بعد مضى خمس عشرة سنة سوى دعوى الوقف والإرث ، ونقل فى الفتاوى الحامدية عن المذاهب الأربعة عدم السماع بعد نهى الحكام . وسندهم فى المنع من مثل هذه الدعاوى هو أن لولى أمر الدولة تخصيص القضاء بالزمان والمكان وبنوع من القضايا .

وهذا المبدأ عمل به المقنن المصرى فى دعوى الزواج فمنع من سماعها إلا إذا كان الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية وحصل فى سن معينة للزوجين ، وهذا المنع كف الناس عن مباشرة الزواج إلا بالشرطين السابقين فابتعدوا بذلك عن أضرار صحية واجتماعية بالغة كالعقم والشقاق بين الزوجين والطمع فى مال القصر ، وأخذ به أيضا فى الوقف قبل صدور القانون الأخير حيث نص فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية على أنه لا تسمع دعوى الوقف غير المسجل .

مكتبتنا العربية

فلو أن واضع القانون المدنى أخذ بهذا المبدأ فمنع من سماع الدعوى بالتصرفات غير المسجلة لوفى بالمصالح المرجوة من غير خروج على الشريعة .

وبعض إخواننا من فقهاء سوريا يرى أن العقد غير المسجل باطل بعد أن صدر قانون التسجيل ، وكان قبل ذلك صحيحاً شرعا ، لكن لولى الأمر أن يأمر ببطلان العقود الصحيحة للمصلحة . واستدل على هذا المبدأ بفتوى أبى السعود مفتى آل عثمان فى أوائل القرن العاشر الهجرى عند ما سئل عمن وقف على أولاده هربا من الديون ، هل يصح وقفه ؟ فأجاب بأن وقفه باطل ، والقضاة ممنوعون من قبل السلاطين عن تسجيله وعن الحكم به صيانة لأموال الدائنين .

ففهم المستدل من الفتوى أن الوقف الصحيح ينقلب باطلا بأمر ولى الأمر ، فأخذ منه مبدأ عاما هو أن التصرف الصحيح يصير باطلا بأمر الحاكم للمصلحة الداعية [1] . لكن أمر الحاكم لا يجعل الصحيح فاسدا إلا بمستند من تقليد لأحد الفقهاء أو اجتهاد ، على أن العقود المجمع على صحتها كالبيع والرهن والزواج لا يصح الاجتهاد المؤدى إلى بطلانها ، لأن الاجتهاد فى مقابلة الإجماع باطل .

وأما فتوى أبى السعود ببطلان وقف المدين فليست مستمدة من الأمر ، بل هى ترجيح لمذهب المالكية ، وأمر السلاطين بالمنع من القضاء بصحته تخصيص للقضاء بهذا المذهب ، لأن المصلحة كانت فى العمل به ، ومن الأصول المقررة جواز ترجيح مذهب معين ، والأمر باتباعه للمصلحة ، ومذهب المالكية بطلان وقف المدين بدين مستغرق أو غير مستغرق إذا كان الباقى بعد الوقف لا يكفى للوفاء به . ويمكن أن تكون الفتوى وأمر السلاطين عملا بإحدى الروايتين عن أبى حنيفة ، وهى القول ببطلان الوقف .

أما بطلان العقود الصحيحة بمجرد الأمر من غير أن يكون له مستند من تقليد أو اجتهاد فلا يمكن أن يكون مبدأ فقهياً يستخدم فى تدبير أمور الناس ، وإلا لدخل على الشريعة من قبل الحكام التبديل والمحو والزيادة والنقص والعياذ بالله ، ولاسيما أنهم لم يرتفعوا إلى مرتبة المجتهدين الذين يعرفون وجه المصلحة والاستمداد من الأدلة ، وكثر منهم الظالمون الذين يجهلون طريق المعدلة . والله أعلم بأحكامه .

أحمد فهمى أبو سنة
المدرس بكلية الشريعة

---

(١) انظر (المدخل الفقهى) للاستاذ الزرقاء حـ ١ ص ٩٩

مكتبتنا العربية

حقيقة الوجوب والنهي

وعدنا القارىء فى مقالنا السابق بمواصلة بحث الأحكام التكليفية والوضعية . وها نحن أولاء نفى بهذا الوعد فنبدأ بذكر الواجب وما يتعلق به من أبحاث ، مع ذكر الخلاف بين اصطلاحى الحنفية والشافعية فى الفرض والواجب ، حتى يزول ما يعلق بالذهن من شبه حين النظر فى بعض المسائل الفقهية التى يقع فيها الخلاف بين الشافعية والحنفية .

تعريف الواجب لغة وشرعا : الوجوب فى اللغة يطلق بمعنى السقوط ، وفيه يقال « وجبت الشمس » إذا سقطت . « ووجب الحائط » إذا سقط . وقد يطلق بمعنى « الثبوت والاستقرار » ومنه قوله عليه السلام « إذا وجب المريض فلا تبكين باكية » أى استقر ، وزال عنه التزلزل والاضطراب .

وأما الوجوب فى العرف الشرعى فقد ارتضى فيه الغزالى تعريف القاضى أبى بكر الباقلانى إذ يقول « هو الذى يذم تاركه ويلام شرعا بوجه ما » لأن الذم أمر ناجز والعقوبة مشكوك فيها لجواز العفو ، ويشمل التعريف : الواجب المعين ، والواجب المخير ، والواجب الموسع . فإنه يلام على تركه مع ترك العزم على امتثاله . ولا فرق بين الواجب والفرض عند الشافعية بل هما من الألفاظ المترادفة كالحتم واللازم .

تفرقة الحنفية بين الفرض والواجب : وفرق الحنفية بينهما ، فخصوا الفرض بما يقطع بوجوبه ، وخصوا الواجب بما لا يدرك إلا ظناً . ولا ينكر الشافعية انقسام الواجب إلى مقطوع ومظنون . فيرجع الأمر إلى مجرد الاصطلاح ، وقد اشتهر بين العلماء أنه لا مشاحة فى الاصطلاح إذا ما فهمت المعانى وتمايزت الحقائق واتضحت .

ويقرب تعريف القاضى أبى بكر من تعريف الآمدى إذ يقول « الوجوب الشرعى عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعا فى حالة ما » وشرح هذا التعريف بقوله : إن القيد الأول وهو « خطاب الشارع » يمنع من خطاب غير الشارع . والقيد الثانى وهو « انتهاض تركه سبباً للذم شرعا » يخرج بقية الأحكام الشرعية . والقيد الثالث

مكتبتنا العربية

وهو « وجود الذم فى حالة ما » يجعل التعريف شاملا للواجب الموسع إذا ترك فى أول الوقت بدون عزم على الامتثال وأداء الفعل فيما بعد ، كما يشمل ترك الواجب المخير .

تعريف الفرض ، نظر الحنفية فى الفرض والواجب : والفرض فى اللغة يطلق بمعنى التقدير ، قال تعالى (فنصف ما فرضتم) أى قدرتم ، وبمعنى القطع ؛ قال تعالى (نصيباً مفروضاً) أى مقطوعا محدوداً . ويطلق الفرض على ما يعطى بغير عوض ، تقول العرب « ما أصبت منه قرضاً ولا فرضاً » ، ويطلق بمعنى الإنزال كقوله تعالى (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل . ويطلق بمعنى التبيين ؛ قال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى بينها . ويطلق بمعنى الإحلال ؛ قال تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى أحل الله له .

وقد رتب الحنفية أحكاما مختلفة لكل من الفرض والواجب بناء على قطعية الدليل بالنسبة للفرض وظنيته بالنسبة للواجب ، وها هى عبارة البزدوى حيث يقول « وأما الفرض فحكمه اللزوم علماً وتصديقاً بالقلب وهو الإسلام . وعملا بالبدن وهو من أركان الشرائع ، ويكفر جاحده ويفسق تاركه بلا عذر . وأما حكم الوجوب فلزومه عملا بمنزلة الفرض لا علماً على اليقين لما فى دليله من الشبهة حتى لا يكفر جاحده ويفسق تاركه إذا استحق بأخبار الآحاد . فأما متأولا فلا ، لأن الدلائل نوعان : مالا شبهة فيه من الكتاب والسنة ، وما فيه شبهة ، وهذا أمر لاينكر . وإذا تفاوت الدليل لم ينكر تفاوت الحكم . وبيان ذلك أن النص الذى لا شبهة فيه أوجب قراءة القرآن فى الصلاة وهو قوله تعالى « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » . وخبر الواحد فيه شبهة يعين الفاتحة فلم يجز تفسير الأول بالثانى بل يجب العمل بالثانى على أنه تكميل لحكم الأول مع إقرار الأول . وكذلك الكتاب أوجب الركوع وخبر الواحد أوجب التعديل فيه . والمتتبع لكتب الفقه الحنفى يرى فروقاً كثيرة وأحكاما متباينة لكل من الفرض والواجب .

نظر الشافعى فى الفرض والواجب : وإذا ذكرنا الفرض والواجب عند الحنفية وبينا وجهة نظرهم فى الاختلاف بينهما ، فيحسن بنا أن نذكر وجهة نظر الشافعى فى الفرض والواجب . وقد جعلهما الشافعى فى نقطتين مترادفتين لمعنى واحد منكراً للتفرقة بينهما . وقال هما مترادفان ويطلقان على معنى واحد وهو الذى يذم تاركه ويلام شرعاً بوجه ، سواء

ثبت بدليل قطعى أو ظنى ، واختلاف طريق الثبوت لايوجب الاختلاف فى حقيقة الفرض والواجب ، وتخصيص اسم الفرض بالمقطوع والواجب بالمظنون تحكم ، لان الفرض هو التقدير مطلقاً سواء أكان مقطوعاً به أم مظنوناً . وكذلك الواجب هو الساقط سواء أكان مظنوناً به أم مقطوعاً . فكان تخصيص كل واحد بقسم تحكما . ويجمل القول فى هذا النزاع أن وجوب العمل فى الواجب عند الشافعى مثل وجوب العمل فى الفرض ، والتفاوت بينهما فى ثبوت العلم وعدمه . وعند الحنفية التفاوت بينهما ثابت فى وجوب العمل أيضاً حتى كان وجوب العمل فى الفرض أقوى من وجوبه فى الواجب ، ولم ير الشافعى وبقية الأئمة فرقا بين الفرض والواجب إلا فى الحج استناداً إلى دليل شرعى يوجب التفرقة ، فقد ورد عن الشارع فى بعض أفعال الحج أن تركها مفسد له فسميت أركانا ، وفى بعضها أن تركه غير مفسد له ويجبر بدم فسميت واجبات .

نظر الحنفية فى النهى : ولما فرق الحنفية بين الفرض والواجب جعلوا النهى موجباً للتحريم إن كان ثابتاً بطريق القطع ، وموجباً لكراهة التحريم إن كان ثابتاً بطريق مظنون . وعلى ذلك تكون الأحكام التكليفية عندهم سبعة : واجبة ، ومفروضة ، ومندوبة ، وحراما ومكروهة كراهة تحريم ، ومكروهة كراهة تنزيه ، ومباحة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عبد الله المراغى
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

التربية بالقدوة

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة :

« إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته .

وإياك أن تزيغ فيزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله كمثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن ، وإنما حتفها بسمنها » .

مكتبتنا العربية

نشأة كتب الأمالي وخصائصها

- ٣ -

أمالي ثعلب

ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة والحديث .

ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر فى العربية والشعر واللغة وهو فى سن السادسة عشرة .

روى ياقوت عنه وهو يتحدث عن نفسه :

« حذقت العربية ، وحفظت كتب الفراء كلها ، حتى لم يشذ عنى حرف منها ، ولى خمس وعشرون سنة ، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتى بغيره ، فلما أتقنته ، أكببت على الشعر والمعانى والغريب » .

وقد ظهرت كل أنواع هذه الثقافات فى أماليه ظهوراً واضحاً ، فهى تمثل بحق ضروب دراسته وألوان ثقافته .

عاش أبو العباس ثعلب دهرا طويلا ما بين سنتى (٢٠٠ ، ٢٩١ هـ) وقضى حياة حافلة بخدمة النحو واللغة والأدب فى بيئته بلغت فيها المنافسة بين البصريين والكوفيين غايتها إذ ذاك .

شيوخه :

لقد طلب أبو العباس كل علم من أهله ، فجلس إلى ابن الأعرابى فى اللغة ، وتلقن على سلمة بن عاصم النحو ، وروى كتب أبى زيد الأنصارى عن ابن نجدة ، وكتب الأصمعى عن أبى نصر ، وكتب أبى عمرو عن ابنه عمرو . فاجتمع له بذلك علم واسع صحيح ، جعل شيوخه أنفسهم يلجئون اليه .

قال ياقوت : كان ابن الأعرابى إذا شك فى شىء يقول لثعلب : ما عندك يا أبا العباس فى هذا ؟ ثقة بغزارة حفظه .

مكتبتنا العربية

ومن شيوخه كذلك محمد بن حبيب ، وفيه يقول : حضرت مجلسه فلم يُمْلِ ، وكان والله حافظاً صدوقاً .

ومنهم محمد بن عبد الله بن قادم ، وكان من أعيان أصحاب الفراء .

ومنهم ابراهيم بن اسحاق بن بشير الحربى ، حدث أبو عمر الزاهد قال : سمعت ثعلبا مرارا يقول : ما فقدت ابراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة .

ومنهم ابراهيم بن المنذر الحزامى ومحمد بن سلام الجمحى والزبير بن بكار .

ومنهم أبو الفضل العباس بن فرج الرياشى البصرى .

وكان لأبى العباس ولوع بأن يحضر مجالس العلماء للإفادة منهم .

قال ياقوت فى معجم الأدباء نقلا عن الصولى :

قال أبو العباس ثعلب : لم أسمع من جماعة كلهم قد رأيته وتمكنت منه ، ولو أردت ذلك ما فاتنى عنهم جميع ما أطلب ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام واسحاق الموصلى وأبو توبة ، والنضر بن حديد . وإنى لأذكر موت الفراء ذكراً جيداً ، وأنا فى الكتّاب .

ويروى الخطيب البغدادى فى تاريخه أن ثعلبا قال :

كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل فصرت اليه ، فلما دخلت عليه قال : فيم تنظر ؟ فقلت : فى النحو والعربية . فأنشدنى أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن فى توباتنا فنتوب

وكان مع اشتغاله بعلوم العربية لا يزال به حنين ينازعه إلى علوم الدين .

قال أبو بكر بن مجاهد ، كما ذكر صاحب نزهة الألباب :

كنت عند أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب فقال لى : يا أبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة ؟!

مكتبتنا العربية

تلاميذه :

وأما تلاميذه فكثير ما هم ، وأشهرهم هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد ، كان من أكابر أهل اللغة وأحفظهم لها ، وكان يعرف بغلام ثعلب .

وكان يشاركه فى هذا اللقب محمد بن على بن الحسين أبو طالب النحوى ، كان يسمى كذلك غلام ثعلب .

وممن كان يسمى (ثعلبا) من النحويين محمد بن عبد الرحمن النحوى .

كان ثعلب يتولى زعامة مدرسة الكوفة ، على حين كان المبرد يتزعم أهل البصرة .

وكل منهما كان علما وإماما فى صناعة العربية ، فأحدث ذلك بينهما من المنافسة ما حفظه التاريخ وسجله الشعر .

حكى ابن السراج قال : كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة ، وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب .

مؤلفاته :

حفظ التاريخ لأبى العباس أكثر من أربعين مؤلفا فى فنون العربية والقرآن ، بيد أن كثيرا منها عدت عليه عوادى الأيام ، فيما عدت على التراث العربى الضخم .

ونحن نكتفى هنا بذكر ما نرى له صورة فى أماليه :

١ — إعراب القرآن .

٢ — القـــراءات .

٣ — معانى القرآن .

٤ — معـانى الشعر .

٥ — اختلاف النحاة .

٦ — كتاب الفصيح ، وهو أشهر كتبه .

الأمـالى :

وتسمى أيضا « مجالس ثعلب » و « مجالسات ثعلب » .

اشتملت (أمالى ثعلب) على ضروب شتى من علوم العربية ، وحفظت لنا فى مطاويها

مكتبتنا العربية

كثيرا من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين ، وهى فى هـــذه البابة من أهم الوثائق العلمية فى بيان مذهب المدرسة الكوفية ، على أن ثعلبا كثيرا ما يستعرض فى أثناء هـذه المجالس أو الأمالى بعض آراء مدرسة البصرة .

وهو كذلك كثيرا ما يعرض لتفسير بعض آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ويذكر أقوال العلماء واللغويين فى ذلك ، مجادلا آراءهم ، مخطئا لهم أحيانا ، ومنتقدا أحيانا أخرى .

وله مختارات من الشعر تنبىء بما منح ثعلب من حسن الاختيار ، وجمال الذوق ، ويلمس الباحث فى أراجيزه التى اختارها ، وهى كثيرة وبعضها نادر ، أنه لغوى متمكن ، وعالم مدقق ، وراوية ثبت .

وأسلوب ثعلب فى أماليه أنه أحيانا يبدؤها هو بذكر خبر أو بيت ثم يستطرد منه إلى فنون شتى من علوم العربية ليس بينها وحدة ولا ارتباط ، إلا أنها من اللغة العربية وآدابها .

وأحيانا أخرى يتقبل الأسئلة من طلابه فيجيب الجواب السديد تارة ، ويتردد تارة أخرى ، وأحيانا يقول : « لا أدرى » .

على أننا لا ندرى تاريخ تلك الأمالى ، وفى أى الأيام كان يجلس لها ، كما سنرى ذلك فى بعض الأمالى الأخرى كأمالى ابن الشجرى أو أمالى المرتضى .

والذى نأخذه على ثعلب فى أماليه ، أنه لم يبرأ مما وقع فيه بعض الرواة من ذكر أخبار هى أشبه شىء بالأساطير ، ولم يعن هو كما لم يعن غيره بنقد النص وتطبيقه على الممكنات العقلية أو الآراء العلمية ، كالذى ذكره فى مطلع الجزء الثامن :

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى ثعلب قال :

حدثنى عمر بن شبة قال : حدثنى عبيد بن جناد ، حدثنا عطاء بن مسلم عن أبى جناب الكلبى قال :

أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها : بلغنا أنكم تسمعون نوح الجن ؟

قال : ما تلقى حراً ولا عبداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك .

قلت : فأخبرنى ما سمعت أنت :

مكتبتنا العربية

قال : سمعتهم يقولون :

مسح الرسول جبينـــه فله بريق فى الخـــدود
أبواه من عليا قريـــــش جده خير الجدود

فنرى أن ثعلباً قد تقبل الفكرة الشائعة عند الرواة للشعر بأن للجن شعراً ، ولم يأخذ بأى مقياس من مقاييس النقد التى وضعها علماء الحديث ، مع أنه ممن عرفوا الحديث ، ووقفوا على مناهج النقد عند علمائه .

ونحن نرى أن هذا الشعر من وضع الشيعة ولا جرم ، وهم فى ذلك يحتذون حذو من وضع منهم الأحاديث على لسان الرسول صلوات الله عليه ، وهى كثيرة . فإذن قد جنت المذاهب وتطرفها على الشعر كما جنت من قبله على الحديث .

وأمالى ثعلب فى جملتها ، قد رواها جماعة - كما ذكر ابن النديم - منهم أبو بكر بن الأنبارى وأبو عبد الله اليزيدى ، وأبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، وابن درستويه ، وابن مقسم .

أما المطبوعة التى بين أيدينا فهى من رواية أبى بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المقرىء العطار . وفى هذه النسخة زيادات لابن مقسم من تفسيرات ينص هو عليها منسوبة إليه وهذه الأمالى اثنا عشر جزءاً ، وقد طبعت فى (٦٦٦) صفحة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نماذج منها

الأجزاء فى القرآن :

عن محمد بن يعقوب السمرقندى رحمه الله أخبرنا محمد بن الحسن بن مقسم ، ثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ثنا محمد بن يعقوب السمرقندى ، ثنا أبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبير ، ثنا أبو الوليد عبد الملك بن عبد الله بن شعوة ، عن اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، عن حميد الأعرج أنه حسب حروف القرآن فوجد النصف الأول من القرآن ينتهى إلى خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله تعالى : « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال إنك لن تستطيع » وهو الربع الثانى ، والسدس الثالث ، والثمن الرابع ، والعشر الخامس وصارت « معى صبرا » من النصف الآخر إلى أن تختم القرآن .

والثلث الأول ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من براءة ، عند قوله : « كذبوا الله ورسوله سيصيب » إلا الباء من سيصيب ، وهو السدس الثانى ، والتسع الثالث ، وصارت الباء من سيصيب من الثلث الأوسط . والثلث الأوسط إلى بعض ست وأربعين آية من

مكتبتنا العربية

سورة العنكبوت ، عند قوله تعالى : « إلا بالتى هى أحسن إلا » وهو السدس الرابع ، والتسع السادس ، وصارت « الذين ظلموا » من الثلث الآخر إلى أن تختم القرآن .

النحو الكوفى :

وأنشد :

اسمع حـــديثاً كما يوما تحدثه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا

رفع . وقال : زعم أصحابنا أن (كما) تنصب ، فإذا حيل بينهما رفعت ، وغيرهم يقول : (كما) ترفع ، قال هشام : تقول أفعل كما يفعلون ، قال : يزعم البصريون أنها لا تعمل كما تعمل كى . قال : وأصحابنا يقولون (كما) مثل (كى) قال الكسائى : أمثل ذلك ، أتيتك كى فينا ترغب ؟

تفســـير القرآن :

قال أبو العباس فى قوله : « يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين » .

قال : قالوا للنبى ﷺ اطرد صهيبا وسلمان وبلالا - وهؤلاء قد سبقوا إلى الهجرة - حتى نتبعك . فأنزل الله هذا .

وهذه رواية غريبة لم ترد فى تفسير من التفاسير التى بين أيدينا ؛ لا فى الطبرى ، والكشاف ، والفخر ، وأبى السعود ، والنيسابورى ، والنسفى ، والقرطبى ، وأبى حيان ، وابن كثير ، والبيضاوى ، والجلالين ، والبغوى ، والطبرسى ، والألوسى ، والأحكام للجصاص ، ولا ابن العربى ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، فهذه ثمانية عشر تفسيرا لم نجد فيها الرواية التى ذكرها ثعلب .

فضلا عن أن النقد الموضوعى لهذه الرواية يجعلنا لا نتقبلها بسهولة ، وذلك أن السورة مدنية بالإجماع ، وهؤلاء أسلموا بمكة ، فان كان هناك حديث عنهم فليكن فى مكة ، وقد وردت هذه القصة فى صدد آيات مكية وهى فى سورة الأنعام عند قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) .

روى أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وغيرهم عن عبد الله بن مسعود قال : مر الملأ من قريش على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء من الله عليهم

مكتبتنا العربية

من بيننا ؟ أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم أن نتبعك . فأنزل فيهم القرآن (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - إلى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين) .

وروى مثل ذلك أيضا فى سبب نزول آية سورة الكهف وهى مكية كسورة الانعام والآية هى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية.

وهذا هو الواقع وهو المعلوم من السيرة النبوية ومن سنة الله تعالى فى خلقه المبينة فى آيات كثيرة من كتابه .

وهو أن أول أتباع خاتم الرسل عليه السلام هم كأتباع من تقدمه من إخوانه الرسل ، أكثرهم من الضعفاء الفقراء ، وأن أعداءه كأعدائهم هم المترفون من الاكابر والرؤساء ، وأن هؤلاء الأعداء المستكبرين عن الإيمان كانوا يحتقرون السابقين إلى الإيمان ويذمونهم بل يسومونهم سوء التعذيب .

وتارة يقترحون على الرسل طردهم وإبعادهم . قال تعالى فى سورة هود حاكيا قول الملأ - أى الأشراف - من قوم نوح (وما نراك اتبعك إلاالذين هم أراذلنا بادى الرأى) .

وقد حكى الله عن كفار قريش أنهم قالوا فى هؤلاء الضعفاء السابقين إلى الإسلام (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) .

على أن الإنصاف يقتضينا أن نعترف لأبى العباس ثعلب بما فى أماليه من محاسن كثيرة مما يدل على الاستقراء والتتبع وسعة الاطلاع وطول الباع . من ذلك ما يذكره من الكليات فى جانب معانى القرآن التى تطبق على جميع الآيات ، مثل قوله :

(لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض)

قال : كبر علمها على أهل السموات والأرض . . . قال : وكل شيء لم يعلم فهو ثقيل . .

وهذا الرأى عندى فى التفسير خير من رأى الراغب فى مفرداته .

وكقوله فى قوله عز وجل (تظن أن يفعل بها فاقرة . كلا) .

الفاقرة : الداهية ، من فقرت أنفه ، أى حززت أنفه .

و (كلا) فى القرآن كله ، أى ليس الأمر كما يقولون ، الأمر كما أقوله أنا .

ومهما يكن من شيء فهذه الأمالى جديرة بالبحث والدرس والقراءة والاطلاع .

عبد الوهاب حمودة
الأستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

علوم البلاغة فى الميزان

كتبت فى العدد الماضى من مجلة الأزهر الغراء تعليقاً على مقال كاتب فاضل فى هذه المجلة أبدت فيه حضرته فيما ذهب إليه فى وجوب التجديد فى البحث ، واستطردت إلى بيان واجب الأزهر الشريف وحظه من تلك الناحية ، وأنه أولى الناس بأن يجدد فى مناهجه ، ويغير فى مؤلفات الأولين ما لا يناسب الزمن أو لا يحقق الغرض ، أو لا يكون على شرعة الصواب .

ثم انتقلت مع حضرة الكاتب الفاضل (مسايرة لاتجاهه) إلى ناحية من نواحى البحث وتكلمت فى البلاغة كما هى فى الكتب التى تدرس فى الأزهر منذ قرون ، فأثرت مسائلها ونثرت مباحثها ، وأبنت معايبها ، ودعوت إلى وجوب نسخها ، والاستبدال بها ، ضناً بالوقت ، والتماساً للحق .

ثم أعود اليوم إلى ما وعدت من التفاهم مع حضرة الكاتب الفاضل فيما أخذ على حضرات الكاتبين فى البلاغة من تعليلات فى الحذف والذكر ، ثم تصوير للتجريد البديعى . وقصدت مع واجب الوفاء أن يظل باب البحث مفتوحاً لى ولمن شاء ، فإن البحث فى الفنون العلمية والأخذ والرد حرىٌّ أن يحدث فى الأذهان حركة ، وأن يبعث فيها نشاطاً منشوداً ، وربما نبه القائمين بالأمر إلى حفز الهمم على الإصلاح والتجديد إن شاء الله .

* * *

بدأ حضرة الكاتب الكريم يعترض على ما كتب الأولون من تعليل الحذف بغير علته النفسية إذ قالوا إن الحذف يكون للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ الخ .

مكتبتنا العربية

ولا بد لى قبل التفاهم أن أبين للقارىء الكريم كيف سلك هؤلاء الكاتبون بعد الشيخ عبد القاهر فى بحثهم للبلاغة ، وكيف عللوا بهذه العلل التى تسوى بين الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وما إلى ذلك .

أما أساس بحثهم ومسلكهم بالعلل فقد كان هو ما كتب الشيخ عبد القاهر من النكات التى يسميها علل النحو ، إلا أنه كان يعتمد قبل ذلك على الذوق ثم يحاول أن يجعل له أساساً وقاعدة تكون حكما عند التخالف ، وقل أن يقع التخالف عند المتذوقين ، فالذوق المعنوى كالحسى لا يقلب الحلو مراً ولا العذب الفرات ملحاً .

ونظير ذلك معرفة النظم وما فيه من اتزان وغير اتزان ، فإن العارف بالذوق لابد أن يعرف البيت الصحيح من المكسور إذا عرض عليه ، ولكن الوزن بالتفعيلات جعل حكما عند الخلاف ، وقل أن يقع الخلاف إلا أن يكون بين ذائق وغير ذائق ، فإذا رجعا إلى حكم الأوزان اعترف غير الذائق بصحة قوله . فالشيخ عبد القاهر جعل البلاغة تأخى معانى النحو بين الجمل وجعل معانى النحو هى تلك التى سماها القوم أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال من الحذف والذكر ... الخ الخ .

وتكلم الشيخ فى أبواب من تلك المعانى قصد بها أن يعبد الطريق أمام الأديب المتذوق ليتعلم فلسفة البحث فى التراكيب لتكون عدة له إذا جادله من لا يحسن ما يحسن ومن لا يتذوق ما يتذوق . ولم يستوعب جميع تلك الأبواب ، وما كان له عند الحق ولا لأحد أن يستوعب ولا أن يحاول إلا أن يتكلف مالا يستطيع ولا يحسن ، ونعوذ بالله أن نتكلف ما لا نستطيع ولا نحسن .

أما القوم من بعده وإمامهم السكاكى فقد حصروا حصراً منطقياً ليحوزوا البلاغة من أقطارها ، ويجمعوا النكات من أطرافها .

وقالوا إن الكلام العربى إما خبر أو إنشاء ، ولا بد من مسند ومسند إليه وإسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو شبهه ، وكل إسناد وتعلق فهو إما بقصر أو بغير قصر ، والجملة مع غيرها إما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما على قدر

مكتبتنا العربية

المعنى أو زائد عليه لفائدة أو أقل ، فلا بد عندهم من تفصيل الأحوال فى هـذه الأبواب الثمانية وبيان العلل لكل الأحوال .

وأحوال المسند إليه الذى فى ضمنه بحث اليوم هى الباب الثانى من الأبواب الثمانية ، وقد حصروها فى الحذف والذكر ، والتعريف بأقسامه الستة والتنكير ، والوصف ، والتوكيد ، والبيان ، والبدل ، والعطف ، والفصل بضمير الفصل ؛ وليكون القارىء الكريم على بينة تامة بالأشباه ، فليعلم أن الشيخ عبد القاهر لم يذكر من هذه المباحث إلا ثلاثة :

١ — الحذف : فقد ذكر صوراً منه جارية فى كل أنواعه غير مقيدة بالمسند إليه مع سياقة روائع من النظم تصلح لبنات متينة لتكوين الذوق السليم ، على أن القوم من بعده قد وزعوا الحذوف على ما يصلح من الأبواب الثمانية ، ولم يذكر الشيخ الذكر .

٢ — التقديم والتأخير : ذكر صوراً منهما تدور مع كل مجال فى المسند إليه وغيره ومع الاستفهام والخبر وفى النكرة والمعرفة ، وحقق فروق ما بينهما فى آيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر الجميل .

٣ — التعريف والتنكير : ذكر منهما صوراً مطلقة أيضاً ، وفيها فروق سليمة واضحة ، وتطرق إلى فروق فى القصر لها مجالها العملى الأدبى الجليل .

أما القوم فقد أطالوا وأجالوا ولم يعللوا بالعلل المثمرة إلا أن يتبعوا الإمام عبد القاهر ، ولم يكن ذلك قاصرا على علل الحذف والذكر ولكنه مطرد شامل .

ولو أنهم أنصفوا إذا لعرضوا ما عرض الإمام من النماذج ، ولبحثوا عن نظائرها لجددوا العهد بالأدب وبالذوق .

مسألة الحذف والذكر

هـذه هى الناحية التى ناقش الكاتب الكريم بعض عللها . فإن السكاكى إمام المتأخرين قد ذكر للحذف عللا عدة قد يتداخل بعضها مع بعض ، فذكر الاحتراز عن العبث ، وتخييل العدول إلى أقوى الدليلين : العقلى واللفظ . ولإيهام تطهير اللسان أو تطهيره عن اللسان أو تأتى الإنكار ، أو التعين حقيقة أو ادعاء أو اتباع الاستعمال الخ . ثم أتى للذكر بعلل

مكتبتنا العربية

منها قصد التخصيص والاحتياط وزيادة الإيضاح الخ . وتبعه من بعده فى الجملة . والكاتب الفاضل يناقشهم الحساب فيقول إنهم يعللون الحسن بغير العلل النفسية وأنهم لم يسلكوا مسلك الشيخ ولا وفقوا للتعليل النفسى المقنع .

وإنى أؤيده فى أنهم لو اتبعوا الشيخ لأفادوا وأفادوا ، فقد جاء بأمثلة شريفة شافية للنفوس كبيت الكتاب [1] :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل
ربع قواء أذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل

وكقول القاسم بن عقيل المرى يمدح زفر بن أبى هاشم وقومه :

هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حين شاءوا
بناة مكارم وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

وقد ذكر غير هذا وغير ما ذكره حضرة الكاتب صورا من النظم لها أثرها فى تهذيب اللسان والقلم والذوق كدأبه .

ولكننى أناقش حضرة الكاتب مناقشة لا تخلو من طرافة لاندماجها فى سلك طريق القوم كما شاء حضرته ، ولتكن المناقشة فى ناحيتين : ما مسلكه فى التعليل ، وما ناقش به الكاتبين فى البلاغة . أما ما سلكه من التعليل ففيه ما يأتى :

(١) سلك مسلك التعليل النفسى ، وهو كما بينه فى آخر الكلام : معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه ، ولكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر . أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين . أليس ذلك لازما لقوله إنه إذا ذكر مع القرينة كان كالثقيل الخ . ولا يضره أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة (بناء على الظاهر) وكلمة (تخييل)

---

[1] راجع ١١٢ فما بعدها من دلائل الاعجاز طبع المنار . قواء : لا أنيس به . المعصرات : السحائب . وأذاع بالشىء : ذهب به .

مكتبتنا العربية

فإن ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف ، فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

وفى الحق إن المتكلم لا ينطق بالبلاغة فى حذفها وذكرها ، إلا مستمدا من ذوق سليم ينشأ كما قلنا من مزاولة التراكيب التى تجعله يضع الحناء مواضع النقب . ويقول : كادنى ما قالت العرب .

وأذكر فى هذا المقام قول البحترى ينعى على بعض العلماء فى عصره :

كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر يكفى عن صدقه كذبه
والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

ولم يكن ذو القروح يلمح بالمنطق : ما نوعه وما سببه ؟!

٢ — أورد حضرته ثلاث علل للحذف جعل الثانى منها الهجوم بالمخاطب على المطلوب دفعة ، وهذا المعنى يلزمه الوجه الأول وهو دفع الاستثقال والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذى تقذى به العين . على أننى كنت أحب ألا يورد فى هذا المقام البيت الذى أوردوه .

وهو قوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع ، وإذا كان المريض مشغولا بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحيته الخ ، فأحرى ألا يفكر فى الهجوم به على المطلوب .

٣ — العلة الثالثة للحذف فى كلام حضرته الجدة والطرافة ، وهو يقول : إن الناس لم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه بعض أجزائه .

وأستطيع أن أقول لحضرته إن الناس اعتادوه كثيرا ؛ اعتادوا أن يحذفوا المعلوم ، وأن يتركوا ما تدعو المقامات إلى حذفه ، والبلاغة تصرف عقلى أولا ثم ذوق وممارسة ثانيا ، وللعامة القدح المعلى فى ذلك ، ولهم بلاغة عجيبة الأسلوب ، وأذواق فى التخاطب ، وكثيرا

مكتبتنا العربية

ما يصلح بعضهم لبعض عبارة تصدر ، وكثيرا ما تسأل مريضا ما شكواك ؟ فيقول : رأسى . أو رجلى ، أو بطنى ، ولا يزيد . وتقول لاحدهم من زارك ؟ فيقول سعيد . ويراك تنتظر القطار فيقول لك إذا جاء ولم تره : الانطار . لضيق الفرصة ، ويقول إذا رأى العقرب : عقرب فإذا قلت : أين ؟ قال : فى الحائط . وكل ذلك مشتمل على حذف . والدليل على ذلك من كلام حضرة الكاتب نفسه ، فهو يقول فى العلة الأولى : إن الكلمة الخالية من الفائدة كالثقيل الخ .

والثقيل غير محبوب وفى الطباع العمل على التخلص منه ، فإن الناس يحبون الخفة والرقة ، فليس من الإنصاف أن نجرد حتى العامى من الذوق وحسن التخير ، وإن لهم بلاغة تكون أحيانا مادة لأئمة الأدب والبيان . قالوا إن أبا تمام كان يصنع قصيدة فأرتج عليه فى أثنائها ، حتى كان بالطريق فسمع سائلا متسولا يقول : بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا . ففتح ذلك له مجال القول وقال :

وأحسن من نور يفتحه الصبا بياض العطايا فى سواد المطالب

وسار فى القصيدة .

وأما مناقشته فيما يرد به على الكاتبين فى البلاغة فإنه يقول :

إن السكاكى والخطيب ومن بعدهما أبوا أن يكون الحذف مزية على الذكر الخ . فنى كلام حضرته بحث ، لما يأتى :

١ — إن أراد عدم المزية مطلقا حتى تكون منزلة الذكر كمنزلة الحذف لا فرق بينهما أبدا ، فذلك ما لا يدل عليه كلامهم ولا يتعرضون له ، وليس من دأبهم فيما كتبوا أن يعقدوا موازنات بين حال وأخرى ، وإنما يكتفون بإيراد العلل والتوجيهات التى تناسب كل معنى ، فالحذف لكذا والذكر لكذا والتعريف لكذا والتنكير لكذا ... الخ .

وأما أن مسلك الحذف أدق أو سبيله أغمض أو غير ذلك فقد أعفاهم الله منه لأنهم لم يرعوا فى جانبه ولم يحاولوه .

٢ — بقى الوجه الثانى : وهو أنه ليس للحذف مزية ، على معنى أنه يجوز أن يكون

مكتبتنا العربية

للذكر مزية كما أن للحذف مزية ، وهذا المعنى هو الواقع وإن كانت عبارة الكاتب لا تهدى إليه أولا ، وهو معنى صحيح لا غبار عليه ولا معنى لإنكاره على الكاتبين فى البلاغة .

إن الذكر فى موضعه وضع صحيح بليغ له مزيته بحيث لو حذف المذكور لنقص الجمال . وكلام حضرة الكاتب فى مبدئه وهو ما نقله عن الشيخ وأقره ، من أنك تحس فى الكلام المحذوف منه بعض أجزائه فى بعض الحالات الخ ، ومعنى ذلك أنه (الحذف) فى بعض الحالات لا يكون حسناً إذا كان المقام المذكر فيكون الذكر هو الحسن . وقد أجمع الأدباء والبلغاء على أن الذكر مقامات لا يسد غيرها أبدا مسدها ، بل إنها قد تدق جدا وتخفى على غير الفحول ، كالذكر فى سورة الرحمن ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، وفى قصيدة مهلهل التى تكررت فيها : على أن ليس عدلا من كليب .

وهم ما يزالون ينوهون بالذكر فى قوله سبحانه ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، فيقولون إن ذكر اسم الإشارة مرة ثانية مع إمكان أن يقال ، والمفلحون ، مع صحة المعنى لأنه أريد استحضار صفاتهم والإشارة إلى أنها أساس الفلاح كما يدل عليه الذوق العربى . ونظيره عكسا قوله سبحانه ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومن هذا الباب قوله سبحانه ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، .

وانظر إلى جمال الذكر وروعته فى قول المتنبى :

وما عفَت الرياح له محـــلا عفاه من حدا بهم وسارا

ولو قال من حدا بهم وسارا لصحّ الكلام مع ثقل الحذف ، للحاجة إلى المحذوف كما يشهد به الذوق .

فالذكر فى موضعه بلاغة كالحذف ، غير أن الحذف قد يكون فيه من اللطائف التى قل أن يهدى إليها فى جملتها وعلى وجهها إلا المذاكى القرح والجياد السبق .

هذا وإنى أخشى أن يكون القلم قد اشتط على القارئ الكريم فأدع بقية المناقشة إلى مجال آخر ، إن شاء الله .

محمود النواوى

المفتش بالأزهر

مكتبتنا العربية

حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام

« ... يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم »
[من سورة الأعراف]

مقـــدمة :

جرنا الحديث فى مقالنا السابق «تطهير الأداة الحكومية فى تاريخ الإسلام» إلى أن نقول عند الكلام عن العدل :

« ولقد كان الفقه الدستورى القديم فى الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تكفى فى منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ، ولكن الفقه الدستورى الآن لا يقنع إلا باتجاه إيجابى يلزم الحاكم فيه أن يهيء الظروف للفرد كى يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق الإنسان الأخيرة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة مثلا على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة الفرنسية ، ففى المواد ٢١ - ٢٤ نص على حق كل فرد فى أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر مجز ، وفى حمايته من البطالة ، وفى تكوين نقابات ، كما نص على حقه فى الغذاء والمسكن والعلاج الطبى والتمتع بمستوى اجتماعى يضمن له ولأسرته الراحة فى الحياة ، والضمان ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعى ، ووجه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل أربعة عشر قرنا » ا . هـ

العـدالة السياسية :

ذلك أن الإسلام لم يكتف فقط بتقرير أصول العدالة السياسية بل تعداها إلى تقرير أصول العدالة الاجتماعية . لأن العدالة السياسية وحدها لا تغنى فتيلا فى شعب عامته من الجائعين المحرومين ، فمن العبث الكلام عن الحرية الفردية أو قدرة الفرد على التأثير

مكتبتنا العربية

فى نظام المجتمع الذى يعيش فيه ، فلا حرية لمن لا يمتلك شيئاً . والذين لا يتغذون تغذية صالحة أو برهقهم العمل المضنى لا يرون فى حق الاستمتاع بالنقد سوى نوع من الترف لا قبل لهم به ولا رغبة لهم فى تذوقه لأنهم أحوج إلى ملء بطونهم منهم إلى تحريك ألسنتهم » [١] « والإخاء لا يقوم بين مترف ومحروم ، والمساواة أمام القانون يصعب تحققها ما دام فى استطاعة أحد المتقاضين بماله من جاه وثراء أن يأتى بالأدلة ويستعين بالدفاع ويستقدم الشهود . وفى بعض أمم العالم تعد وظائف ومهن معينة مقصورة على طوائف بالذات ، كما أن التعليم ترتفع نفقاته فى المرحلتين الثانوية والعالية . وفى بعض الأمم يقصر حق الترشيح على من يدفع قدراً معيناً من الضرائب ، فضلا عن أن كثيراً من الناس لا يشتركون فى الانتخاب لظروف اقتصادية » . [٢]

فالعدالة السياسية وحدها لا تكفى إلا إذا كانت مقرونة بالعدالة الاجتماعية ، والعدالة الاجتماعية وحدها لا تكفى إلا إذا كانت إيجابية تعتنقها الدولة فكرة وعقيدة ، وتحققها تشريعاً وتنفيذاً ، وتحاسب عليها سياسياً وقضائياً .

هذا والعدل السياسى فى الإسلام وطيد الأركان ، فقد وكلت شريعته اختيار الحاكم إلى الأمة إذ جعلت أمر الرعية بين أفرادها شورى ، وجعلته مسئولا مسئولية سياسية عن كل تصرفاته ؛ وهذا هو الإمام مالك رضى الله عنه يعلق على خطبة أبى بكر حين استخلف « إذا أحسنت فأعينونى وإن أنا زغت فقومونى » فيقول فيما أورده السيوطى :

« لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط » [٣] . كما أن الحاكم الأعلى مسئول مسئولية قانونية - مدنية وجنائية - فهو يؤاخذ فى فقه الإسلام بالقصاص والأموال ، وإذا كان أمر الحدود دون القصاص اليه - لاشتراط الإمام لاستيفائها - فإننا نجد بالنظر إلى قوله تعالى « فاجلدوا . . . » أن الخطاب موجه لجماعة المسلمين ، وما الإمام إلا نائب عنه فى تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ، وهى صاحبة الحق أولا وبالذات ، فعليها تنفيذ حكم الله فيه إذا أصاب حداً من حدود الله . ولقد جاء فى مذهب الشافعية : يقيم عليه الحد من ولى الحاكم عنه كما قال القفال . وجاء فى استيفاء الحد : ويستوفيه من الإمام بعض نوابه [٤] .

(١) المذاهب السياسية المعاصرة - أدم - ص ٨٧

(٢) النظام الاشتراكى - البراوى - ص ١٤٦ : ١٥٢

(٣) أشهر مشاهير الاسلام - م ١ - ص ٩١١ - ١٢٠ .

(٤) فقه القرآن والسنة - شلتوت - ص ٩٦ ، ٩٧ .

مكتبتنا العربية

ومن ميزات العدل الإسلامى : أنه عدل إنسانى للناس أجمعين ، إذ أن رسالة الإسلام رحمة للعالمين ، على اختلاف الأجناس والبلدان والأديان . ومن ميزاته كذلك أنه مرتبط بعقائد الناس ، ومن ثم يتعبد الناس بإقامته : فيتفقه العالم المجتهد ويسوس الحاكم ويقضى القاضى ويحتكم المختصمون عن إخلاص ويقين ، وهذا أدعى لأن يأخذ العدل حقه وينال التشريع مكانته ، ولا تنفصل فكرة العدالة - عن الفكرة الأخلاقية كما حدث عند غيرنا فيما يفرضه أوزفلد كولبه ، كانت فلسفة القانون فى مبدأ الأمر جزءاً من علم الأخلاق . . . ولكن كلما انفصلت فكرة العدالة عن الفكرة الأخلاقية ، بحيث تظهر الأولى فى صورة قوانين محدودة تنشرها الدولة وتلزم الناس بها إلزاماً - انفصل العلمان اللذان يدرسانها انفصالا تدريجياً وتميز أحدهما عن الآخر . . . وقد وضع (كانت) حداً فاصلا بين قانونية الفعل وأخلاقيته بأنها العمل بمقتضى القانون فى الظاهر »[1] .

ونحن فى هذه الكلمات نعرض للعدل الاجتماعى فى شريعة الإسلام ، وللاتجاه الايجابى فى تقرير حقوق الإنسان المعاشية ، ليبسط من روائع صنع الله جانباً يغفل عنه الكثيرون ويتكبون على التماسه عند الفلاسفة والمشرعين شرقا وغربا ، ولا يخطر ببالهم - مجرد خاطر - أن فى الإسلام غناء ، بل ربما لا يفكرون قط أن الإسلام اتجه مثل هذا الاتجاه فى قليل أو كثير . ونحن بعد ذلك نعرض هذا الجانب ليستيقن الناس ويزداد الذين آمنوا إيمانا أن الله يأمر الناس بعبادته لينتفعوا بهدايته وشريعته ، لا ليزدان ملكه بطاعة الطائعين . وأن الله تعالى يأمرنا بعبادته وطاعته لا لتسكن أرواحنا فحسب بل لتطمئن أجسادنا أيضا بالطعام واللباس والسكن ، وأن الله تعالى يجازينا على طاعتنا فى الدنيا حياة طيبة ، ثم مردنا فى الآخرة إلى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

العدالة الإجتماعية :

بين الله فى كتابه حدوداً كالقصاص فى القتل ، وقطع اليد فى السرقة وغيرها من العقوبات . ومن الطبيعى أن يسلك الإسلام سبيل التشريع القانونى بعد أن سلك سبيل التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة ، والتدريب العملى عن طريق العبادة .

ولكن تشريع الإسلام القانونى لايكاد يذكر حتى تثب إلى أذهان الناس صورة مشوهة عن الأيدى المقطوعة والأبدان المرجومة وهكذا . وحقيقة أن رحمة الله للعالمين التى يطالب

[١] المدخل إلى الفلسفة - تعريب عفيفى - ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

مكتبتنا العربية

بها كل داع إلى الإسلام ليست بمجرد الاشتفاء بتنفيذ العقوبات ، ولكنها ما سنت العقوبة إلا بعد أن سلكت سبيل الوقاية كما يقول فرنسيس آيفانج ، إذا كانت غايتنا هى مصلحة المجتمع وجب أن يكون الغرض من العقاب هو الوقاية . وأى وسيلة تحقق هذا الغرض يجب أن تعتبر صالحة من الوجهة الاجتماعية . فإذا كان فى إمكاننا أن نستبعد أسباب الإجرام وظروفه ـ سواء ـ أكانت هذه الأسباب ترجع إلى البيئة أم إلى الشخص نفسه فهى الوسيلة المثالية التى يجب علينا أن نتخذها . ولقد قامت بالفعل عدة محاولات فى هذا السبيل عن طريق الخدمات الاجتماعية ... ولكن لو أن جميع الظروف المتعلقة بالبيئة قد أصبحت مهيأة على خير وجه ، يبقى علينا أن نفكر فى الأسباب النفسية التى تؤدى إلى ارتكاب المخالفات[1] .

فكما يقرر الإسلام توقيع القصاص فى القتل ، فهو يقرر أيضا استئصال عوامل البغضاء بين الناس التى تنتج من الخلافات العصبية أو الحزبية أو الطبقية . وكما يقرر الإسلام قطع يد السارق فهو يقرر حقوق الفرد المعاشية ويقرر مسئولية الدولة لضمانها . وكما يقرر الإسلام رجم الزانى أو جلده يقرر تيسير سبل الزواج ، وصيانة الحرمات بستر العورات وغض الأبصار والنهى عن الخلوة ؛ وهكذا يسير التشريع الاجتماعى بجانب التشريع الجنائى أو يسبقه .

وسنعرض فى الجزء الآتى إن شاء الله لمحات سريعة خاطفة عن تقرير الإسلام للضرورات المعيشية للأفراد ، وإلزام الدولة مسئولية ضمان هذه الحقوق ، لنتبين حقيقة النظام الإسلامى فى أسسه الاجتماعية الأصيلة ، بعد أن صارت معرفة الناس مقصورة على جانب العقوبات وحده .

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

---

(١) علم النفس قديما وحديثا ص ١٦٩ ـــ ١٧٠

مكتبتنا العربية

جيل يؤمن بالأخلاق

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب جريدة الأهرام الخاص :

حضر أمس الأول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر اجتماعا عاما انتظم عديداً من ذوى المناصب العامة المختلفة ، من ضباط الجيش ورجال القانون والهندسة والطبابة ، كان خطباء الاجتماع يتسابقون فى تعداد الصفات التى يجب أن نتسلح بها لنواجه المستقبل الحافل بجسام الامور . فتوجه فضيلته بالحديث الى قائلا :

إن الامم الناهضة تحتاج نفوسها إلى الغذاء الجيد ، من الأخلاق والسجايا ، لتقوى به على مواصلة النهوض إلى المعالى ، كما تحتاج أجسامها إلى الغذاء الجيد من الطعام ، لتقوى به على مواصلة الكفاح فى سبيل المعايش ، والشجاعة غذاء من أغذية الأمة فى طور التحرير ، لا يتهاون به إلا صغار النفوس ، والذين يستعذبون موارد العبودية ، وإن لم تفرض عليهم ، وأصل الشجاعة أن تعرف الحق : حق الله ، وحق الأمة ، وحقوق المواطنين ، وحقك الشخصى ، فتوطن نفسك على أن تكون صادق العزم فى إعطاء كل ذى حق حقه بالعدل والإنصاف .

وقد أوصى المسلمين بأن يكونوا أهل الشجاعة فى مواقف الدفاع عن الحق ، ما داموا يرجون لهذا الحق العزة والاستعلاء ، فقال عز وجل فى سورة النساء ، ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون ، وكان الله عليما حكيما ، ، فأرشدهم الله إلى أنهم بما يرجون من إقامة الحق ومعونة الله عليه ، ينبغى لهم أن يكونوا أبعد من أعداء الحق عن الوهن والضعف ، لأن المؤمن الذى يرجو الحق ويعيش له ويعد نفسه لإعلانه ونصرته ، يجب أن يكون من أبعد الناس عن الوهن فى سبيله

ومن هنا يتبين لنا أن الشجاعة العسكرية وليدة الشجاعة الأدبية ، لأن كلا نوعى الشجاعة منبعث عن الولاء للحق ، وتوطين النفس على إقامته ونصرته . وإن الرجل الشهم الذى يوطن نفسه على الدفاع عن الحق ويؤدى الشهادة الصادقة على نحو ما علم دون أن

مكتبتنا العربية

يهاب ذا جاه أو سطوة ، لا يقل عن البطل الصنديد فى موقفه بساحة الحرب أمام نيران العدو مدافعاً عن حق أمته وملته ووطنه .

واستطرد فضيلته فقال :

إن المسلم الذى يعلم أنه لم يكن مسلماً إلا بشهادة الحق « لا إله إلا الله » يوطن نفسه على ألا يشهد إلا بالحق ولو على نفسه وعلى والديه فى كل المواقف ، متمثلا دائماً فى ذهنه أمر الله عز وجل للمسلمين « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » .

ولما ربى الإسلام أبناءه على إقامة الحق ونصرته ومحبته والشهادة به والإعانة عليه ، ربى فيهم بهذه السجية ، خلق الشجاعة فى النفوس فأخرج منهم أمة لا تهاب الخطوب ، وترى الموت فى سبيل إعلاء كلمة الحق خيراً من ألف حياة يقضيها صاحبها فى مشاهدة الباطل يمشى فى الأرض مرحا .

انظروا إلى قول الخليفة الأول أبى بكر الصديق فى وصيته لقائده العظيم خالد بن الوليد « احرص على الموت توهب لك الحياة » فباقتحام موارد الموت فى سبيل إقامة الحق تبرهن الأمة على أنها جديرة بالحق ، وبهذا تكون من أهل الحياة ، وأن الشهداء من رجالها أحياء عند ربهم ، وأحياء فى قلوب عباده ، والذين لم ينالوا منهم نعمة الشهادة يتمتعون بالحق وبما يفيضه عليهم الحق من نعمة الحياة . وإلى هذا المعنى يشير الفارس الشاعر حصين بن الحمام أحد بنى سهم بن مرة :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

جلس القائد المجاهد الشهير مسلمة بن عبد الملك مع أخيه الخليفة الأموى هشام ذات ليلة ، فقال له أخوه الخليفة :

« يا أبا سعيد هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ » فأجاب مسلمة : « ما سلمت فى ذلك من ذعر ينبه إلى حيلة ، ولم يغشنى فيها ذعر سلبنى رأيى » فقال له هشام : « هذه هى البسالة » .

ولما كان الحكم والسلطان فى إسبانيا للخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ، رفع أحد التجار قضية على الخليفة إلى القاضى الأكبر فى عاصمة الأندلس (قرطبة) وهو العالم الفقيه الورع ابن بشير ، فحكم ابن بشير للتاجر على الخليفة ، ولم يكتف بإصدار الحكم بل كان

مكتبتنا العربية

حريصاً على سرعة تنفيذه ، فذهب إلى الخليفة يخبره بنص الحكم الذى صدر عليه ، وينذره بالاستقالة من القضاء إن لم يبادر الخليفة بالتنفيذ .

وحتى فى أحط أدوار الدولة العبيدية بمصر دخل الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى على الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى - وكان الأفضل وزير مصر للمستنصر والمستعلى والآمر - فتكلم الطرطوشى موجهاً الموعظة والنصيحة للملك الأفضل . ولاحظ فى أثناء موعظته أن إلى جانب الملك رجلا لا يؤتمن على الدولة ولا تهمه مصلحة الملة ، فختم الطرطوشى موعظته بالحديث عن ذلك الرجل غير المؤتمن وأشار اليه بيده ، فلم يكن من الملك الأفضل - لما استشعره من صدق الإمام الطرطوشى وغيرته على الحق وشجاعته فى إعلانه - إلا أن أمر ذلك الرجل الجالس إلى جانبه بأن يتنحى عن ذلك المقام .

ثم قال فضيلته :

إن الأمة الضعيفة المستكينة لا تستحق الحياة ، وهى لا تقوى وترتقى وتعتز إلا إذا شاع فى أفرادها - ولا سيما شبابها ، خصوصاً المثقفين منهم - خلق الصدق ، ومحبة الحق ، وتوطين النفوس على نصرته ، والصراحة فيه ، والدفاع عنه . ومن هذا الخلق يولد الجيش الباسل الذى لا يغلب ، بل من ذلك الخلق يولد الجيل الفاضل الذى لا يطمع فى حق غيره ولا يطمع غيره فى حقه . والحق شطر الإسلام ، بل هو عظامه التى تقوم بها بنيته ، أما الشطر الآخر فهو الخير ، وهو فى مقام اللحم والشحم من بنية الإسلام . ولم يرد فى الإسلام أمر ولا نهى إلا وهو يرجع إلى شعبة من شعب الحق أو إلى شعبة من شعب الخير . والمسلمون لن يعودوا كإخوانهم الذين حملوا لواء الحق ونشروا قانونه فى الأرض إلا إذا تضلعوا من معين الحق وارتووا من موارد الخير ، فأصبحوا يعرفون بين الأمم بأنهم أمة الحق والخير ، وحينئذ يكون منهم الجيش الغالب الظافر الذى يقتحم كل عقبة تحول بينه وبين الحق ، ويجتاز كل مخاضة تمنعه من الوصول إلى أهداف الخير . وكما ينبغى أن يجهز الجيش بالدبابات والمدافع الضخمة والطائرات النفاثة والقنابل الذرية ، فإن كل هذه المعدات لا تنفعه ان لم يستمد جنوده وضباطه من أمة تربت على الصدق ، وآمنت بالحق ، ووطنت نفسها على محبة الخير . بل ان تجهيز الأمة بسجية الصدق ، وتربيتها على الإيمان بالحق وعلى الإيمان بالخير ، هو الذى ييسر لها الأسلحة من كل نوع ، والأنصار من كل أمة ، وهو الذى يملأ

مكتبتنا العربية

بالهيبة والحرمة لها قلوب الأمم جميعاً . وهكذا الأخلاق لا تزال معيار الأمم ، وهى مفتاح الأمانى المغلقة وهى السبيل إلى استرداد الحقوق وتيسير السبل اليها .

إن إعداد شباب الجيل بسجية الصدق ، وتربيتهم على الإيمان بالحق وعلى محبة الخير عنصر من عناصر الإسلام .

ولقد صرنا الآن إلى عهد قام بالأخلاق ، وهو فى حاجة إلى الاستعانة بجيل يؤمن بالأخلاق . والمصانع المصرية لتربية الأخلاق هى معاهد العلم التى يتوقف عليها نجاح هذا العهد ، ويكون لأمتنا منها الجيش الظافر الذى هى بحاجة اليه فى مصيرها القريب وكل يوم تضيعه معاهدنا العلمية ، وتحجم فيه عن البدء فى مناهجها الصالحة يكون خسارة على الأمة ، وعلى حقوقها .

إن الأمر جد ، والوقت أثمن من أن يضيع بغير عمل .

اللحن فى العربية كذب وذنب

روى الشيخ عبد الوهاب خلاف أنه سمع الشاعر حافظ إبراهيم يتلو شعراً فى مجلس الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى فلحن فى حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطى وقال له : كذبت !

والشيخ الشنقيطى مسبوق إلى مثل هذا الموقف بالإمام الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فإن لسانه عثر مرة بشىء من اللحن فتراجع وقال : « أستغفر الله » ، فسأله حين سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار فقال : من أخطأ فى العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ، وقد قال الله عز وجل : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما » .

ويروى الخليل بن أحمد أنه سمع أيوبا السختيانى يحدث بحديث فلحن فيه فقال : « أستغفر الله » يعنى أنه عد اللحن ذنبا .

مكتبتنا العربية

نفســـــيات

« نَفْسٌ يَحُثُّهُ نَفَسُ وَالأَسَى بَادٍ وَمُحْتَبِسُ »

وَيْلَتَا لِلْجِـــدِّ أُسْلِبُهُ كَخُمُودِ النَّارِ تُقْتَبَسُ

أُلْمِـــنَى مِنْ دُونِهَا حَذَرٌ كَالْمَهَى مِنْ دُونِهَا حَرَسُ

وَالْعُلَى مِنْ غَيْرِ طَيِّبَةٍ حُـــلُمٌ لَمْ يُدْنِهِ نَعَسُ !!!

غُـــرَّةُ الأَخْيَارِ مُقْتَبَلٌ طَاحَ عَنْ أَثْوَابِهِ الدَّنَسُ

كَمْ حَيَـــاةٍ فِى مُنَافَسَةٍ وَحَيَاةُ الزَّاهِـــدِ النَّفَسُ

الْـــكَرِيمُ الْحُرُّ مُبْتَئِسٌ لِلْكَرِيمِ الْحُرِّ يَبْتَئِسُ

****

خَطَرَاتُ الْحُسْنِ تَارِكَتِى وَفُـــؤَادِى لِلْهَا جَرَسُ

لَا أُهِيجُ السِّرْبَ يَعْصِمُهُ حَرَمٌ لِلْحُسْنِ أَوْ قُدُسُ

شَدَّ مَا أَزْمَى فَلَا حَوَرٌ يَزْدَهِى لُبِّى وَلَا لَعَسُ !!!

لَا أُحِبُّ الظَّبْىَ مُبْتَذَلاً عِفْتُهُ كَالظَّبْىِ يُفْتَرَسُ

غِبْطَةُ الْفَضَّاحِ خِزْيَتُهُ طَابَ لِلزَّنْجِيَّةِ الْفَطَسُ !!!

الْفَـــتَى يَسْرِى لِعِزَّتِهِ وَالْمَسَاعِى وَحْدَهَا قَبَسُ

****

ضَـلَّةً لِلْيَأْسِ يَمْضُغُهُ مَقْوَلٌ يَشْتَاقُهُ الْخَرَسُ !!!

خَطْبَةُ الآمَالِ فِى دَعَـةٍ كُلُّ مَا يُوحِى بِهِ الْهَوَسُ

أَسْتَبِى حَقِّى مُنَاجَزَةً وَعِـدَاةُ الْحُبِّ تُخْتَلَسُ !!!

آفَـةُ الْمَغْلُوبِ رِقَّتُهُ رَاحَ فِى آمَالِهِ الشَّرِسُ

مَنْ أَبَى وَالْحَقُّ مُسْتَلَبٌ صُلْ بِهِ وَالْحَقُّ يُلْتَمَسُ !!!

نَاهِضٌ يُزْهَى بِسَالِبِهِ نَاكِلٌ فِى بَيْتِـهِ عُرُسُ

مَا رَأَيْتُ الْحَقَّ مُنْتَصِفاً مُذْ رَأَيْتُ الْحَقَّ يُلْتَبَسُ !!!

« السير »

لغو وتصويب

وهبك الله النعمة والخير الكثير !

يكثر استعمال وهب متعدية لمفعولين كما ترى، كأنها مرادفة فى المعنى والعمل لأعطى. ويشيع هذا فى ألسنة الفقهاء فى الحديث عن الهبة، وهم يجعلون من صيغها الشرعية وهبتك كذا، ووهبت لك كذا. والوارد فى فصيح الكلام تعدية الفعل إلى من يتملك الموهوب بحرف اللام، فيقال: وهبت لك مالا، كما قال سبحانه وتعالى: «يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور» وقال سبحانه: «فهب لى من لدنك وليا».

وتعدية الهبة ومتصرفاتها إلى مفعولين موضع بحث قديم. ومن المنكرين لها إمام النحاة سيبويه. فهو يقول فى الكتاب ١/١٦٠ بعد كلام جرى له: «إنما تجرى ذا كما أجرت العرب. ومثل ذلك عددتك وكلتك ووزنتك. ولا تقول: وهبتك؛ لأنهم لم يعدوه، ولكن وهبت لك»، وسيبويه يريد أن يقول إن الأفعال: عدّ وكال ووزن تتعدى فى الأصل إلى من يُفعل الفعل له بحرف الجر، تقول: عددت لك الدراهم، وكلت لك الحب، ووزنت لك القطن، وقد تتعدى هذه الأفعال بحذف حرف الجر، فتقول: عددتك الدراهم، وكلتك الحب، ووزنتك القطن، إذ ورد هذا عن العرب، ومن ذلك قوله تعالى: «وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»، والأصل وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الحرف وعدى الفعل بنفسه، فأما وهب له مالا، فإن العرب لم يحذفوا فيه الحرف فلم يقولوا: وهبه مالا. كما قالوا كلتك الحب فى كلت لك الحب. وسيبويه يرى العمل على ما جرى عليه العرب واطراح ما اطرحوه.

فمن ثم قال فى ختام بحثه: «ولا تقول: وهبتك لأنهم لم يُعدوه ولكن وهبت لك». وقد أورد السيرافى فى شرحه لسيبويه رأيا للمبرد أنه يجوز أن يقال: وهبتك مالا، ولا يجوز

مكتبتنا العربية

وهبتك ؛ لأن الصيغة الأخيرة تحتمل أن الهبة واقعة على المخاطب ، وهذا فى أيام الأرقاء والموالى ، أما فى عصرنا فلا يخطر هذا الاحتمال . ويعزز السيرافىّ رأى المبرد بأنه سمع من العرب نحو وهبته مالا ، فكانت صيغة وهب كصيغ عد . وكال ووزن : سواءً فى القبول والاستساغة .

وإنى أنقل هنا كلام السيرافىّ فهو جد نفيس قال (١) : « وكان المبرد يقول : إنما قالوا : عددتك ووزنتك وكلتك فى معنى عددت لك ووزنت لك وكلت لك لأنه لا يشكل . ولم يقولوا وهبتك فى معنى وهبت لك لأنه يجوز أن يهبه . فإذا زال الإشكال (٢) زال ، وهو أن تقول : وهبتك الغلام أى وهبت لك (٣) . وإنما ذكر سيبويه كلام العرب أنهم يحذفون حرف الخفض فى عددتك ووزنتك وكلتك وإن لم يذكر المعدود والمكيل والموزون ؛ كما قال عز وجل : « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . ولا يجوز مثل ذلك فى وهبتك لأن ما كان أصله متعديا بحرف لم يجز حذفه وإن لم يكن لبس إلا فيما حذفته العرب ، ألا ترى أنه لا يجوز مررتك ولا رغبتك على معنى رغبت فيك . وحكى أبو عمرو الشيبانىّ عن بعض العرب : انطلق معى أهَبْك ثَبْلا ، يريد : أهب لك ثَبْلا . وهذا يؤيّد قول أبى العباس » .

وكأن ابن الشجرى رأى ما استقر عليه السيرافى من جواز وهبتك مالا فذكره من غير تعقيب إذ يقول (٤) : « يقال : وهبت لك درهماً ، ووهبتك درهماً ؛ كما تقول : وزنت لك الدراهم وزنتك الدراهم ، وكِلْت لك البُرّ وكلتك البُرّ ؛ كما جاء فى التنزيل : وإذا كالوهم أو وزنوهم أى كالوا لهم أو وزنوا لهم » .

والقارىء يخرج من هذا البحث باستساغة أن يقال : وهبك الله النعمة والخير الكثير .

التلميذ المجد لا يخفق إلا فى الندرة

تستعمل الندرة فى ألسنة الناس بضم النون . ولا يكاد يخطر ببال قارىء أو متكلم فيها غير ذلك . ولشد ما يعروه العجب إذا رأى ضم النون موضع بحث ومجال أخذ ورد ، وأن الجادة فيه هو فتح النون : النَّدرة .

---

(١) انظر شرح السيرافى ٢ — ٣٨٠ نسخة التيمورية . (٢) كذا . وكأن الأصل : زال المنع .

(٣) هذا من كلام السيرافى لامن كلام المبرد (٤) انظر أمالى ابن الشجرى المطبوعة فى الهند ١ / ٥٠

مكتبتنا العربية

فى القاموس : « ولقيته ندرة ، وفى الندرة مفتوحتين » وهو يريد فتح الحرف الأول مع سكون الثانى ؛ كما هو اصطلاحه . ونرى مثل هـذا فى اللسان بفتح نون الندرة بضبط القلم . وفيه زيادة على ما فى القاموس : « ويقال : إنما يكون ذلك فى الندرة بعد الندرة إذا كان فى الأحايين مرة » .

وكأن الندرة فى الأصل : المرة من ندر الشيء إذا زال عن مكانه وخرج عن مستقره ، فمن هذا كان مفتوحا على حد اسم المرة . وفى الجمهرة لابن دريد ٢ / ٢٥٨ : « كل شيء زال عن مكانه فقـد ندر ، يندر ، ندرا ، فهو نادر ، فيقال : ضربه على رأسه فندرت عينه أى خرجت من موضعها . وسمى نوادر الكلام ، لأنه كلام ندر فظهر من بين الكلام » .

ويبدو أن جريان الألسنة بضم نون الندرة وتنكب جادة الفتح فى ذلك قديم أتى عليه السنون والأحوال حتى أضحى لا يعرف سواه . وبلغ من هذا أن صار ضبط الندرة فيما يعنى بضبطه بضم النون تحفظا على الصواب ، وتحرزا من الخطأ المردى . فهذا التاج السبكى يعرض فى كتابه الخالد « جمع الجوامع » حرف « الندرة » فيضبطها بالضم ، فقد جاء فى أوائل كتاب السنة : « وفعله ﷺ غير محرّم ، للعصمة ، وغير مكروه للندرة » ، فيقول شارحه الجلال المحلى فى حديثه عن الندرة : « بضم النون بضبط المصنف » يريد أن التاج السبكى ضبطها كذلك بضبط القلم . وقد وثق المحلى بالتاج أن كان ضليعا فى العـلم بحرا ، أخذ العربية عن أبى حيان وغيره من أعلام عصره . وكانت وفاة التاج سنة ٧٧١ هـ ، ووفاة الجـلال المحلى سنة ٨٦٤ هـ ، وكان (١) علامة فهما ، ويؤثر عنه أنه كان يقول : فهمى لا يقبل الخطأ .

ونرى لغوياً معاصراً للسبكى يذكر الفتح فى الندرة ، ويضم إليه الضم على أنه لغة . ذلك هو الفيومى صاحب المصباح ، فهو يقول : « وندر العظم من موضعه : زال . ويتعدى بالهمزة . والاسم الندرة بالفتح ، والضم لغة » . ويتبعه صاحب المعيار إذ يقول : « ندر الشيء ، ندوراً ، كقعد قعوداً : سقط وخرج من غيره ، ومن بين أشياء فظهر . ومنه النوادر والاسم الندرة كضربة ، وكغرفة ، لغة ، ولا أدرى علام اعتمد صاحب المصباح فى إثبات ضم النون لغة . وقد يكون سرى له هذا من نطق الناس بضم النون فحاله لغة ، وضمه

(١) انظر فى هذا : حسن المحاضرة .

مكتبتنا العربية

إلى ما وجده فى دواوين اللغة . وهو فى ذلك أحق بالعذر من ابن السبكى الذى اعتمد على سمعه وما لقنه من الشيوخ فضبط (الندرة) بالضم .

وقد وقع هـذا الخطأ فى طبعة المخصص لابن سيدة ؛ ففيه : « ويقال لقيته الندرى ، وفى الندَرى وندرى أى فى الندرة يعنى بين الأيام ، وفيه ضبط (الندرة) بضم النون . وبعد فإن النفس بعد هـذا لا تركن إلى الضم فى هذا الحرف ، وأرى أن تعوّد الألسنة الفتح ، وهو الصواب .

العبيط

يقال العبيط فى لسان العامة ، لذى الغفلة والبله . وهذا المعنى لا يبين فى معانيه اللغوية . فإن العبيط فى اللغة يقال للدم الطرى ، وللحم السليم من الآفات الذى لاداء فيه ، ولا يقال لذى البـلاهة . وقد تصدى لغـويان لتخريج الاستعمال العامى وبيان أصله فى العربية ، فيرى الأستاذ حسن العدل فى رسالته : « أصول الكلمات العامية ، أن الأصل فى ذلك : العبيت ، وهو الجبان الذاهب العقل ؛ قال طرفة بن العبد :

العبيت لا فؤاد له ... والتبيت عقله قيمه

فأبدلت الهـاء عينا ، والتاء طاء . وهذا تخريج قريب ونظر صحيح .

ويرى الأستاذ عبد القادر المغربى فى بحثه المنشور فى مجلة المجمع اللغوى ٣/٢٩٣ أن العبيط مقلوب البعيط ، وهو فعيل من قولهم : بعط فى الجهل إذا أبعد فيه وأغرق ، فالبعيط هو المغرق فى الجهل ، وقلبه العامة إلى عبيط . وهذا التخريج فيه بُعد إذ لم يرد فى المـادة بعيط ، وقياس الوصف منه باعط .

وقد بدا لى تخريج ثالث . ذلك أن العبيط يقال للطرى غير النضيج . وجاء فى الحديث : فقامت لحماً عبيطا ففسر بالطرى غير النضيج ، والابله ذو الغفلة يشبه بالفج الذى لم ينضج ، وما زلنـا نقول فى المدح : هذا رجل ذو نضج ، وفى الذم : هـذا رجل غير ناضج ، والله الموفق للصواب .

محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة

مكتبتنا العربية

الإسلام فى أمريكا

قالت جريدة « أخبار اليوم » بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ تحت عنوان « أمريكا مستعدة لقبول الإسلام » ما يلى : ـ

« زار كامل عبد الرحيم (بك) سفير مصر فى وشنطن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى خلال هذا الأسبوع ، وتحدثا فى موضوعات كثيرة . وكان أهم هذه الموضوعات ما قاله كامل (بك) ، عن أن الشعب الأمريكى استمع له فى الشهر الماضى ، فى محاضرة دينية ألقاها فى إحدى الكنائس الأمريكية ، عن الدين الإسلامى ، وأظهر المستمعون إهتماماً كبيراً بهذه المحاضرة ، وعلق السفير على ذلك بقوله : إن الشعب الأمريكى على استعداد لتفهم حقيقة الدين الإسلامى ، إذا ما عنيت السلطات الدينية فى مصر بهذه الناحية الهامة ، وقد وعد شيخ الأزهر بدراسة الموضوع . . . .

وها هو ذا قد مضى على هذا الوعد ثلاث سنوات تقريبا ، ولم نعلم ما الذى استقر عليه قرار مشيخة الأزهر بعد ، وإننى أود شكر (سعادة) السفير على محاضرته تلك أولا ، وتفكيره بهذا الأمر الجليل ثانياً ، وعرضه على الأستاذ الأكبر ثالثاً .

ثم أود القول ، بأن تاريخ العناية بالقرآن الكريم ، يبين لنا أن نفراً من المسيحيين فى الشرق والغرب ، قد عنوا عناية كبيرة بالقرآن الكريم ، فدرسوه ونقلوا ما تيسر لهم نقله إلى لغاتهم ، ودرسوا علومه وتفسيره ، ونقلوا من كل ذلك الشىء الكثير ، ولقد أفرد الأستاذ الفيكونت فيليب دى طرازى ، فصلا كبيراً فى كتابه « خزائن الكتب العربية فى الخافقين » عن كل ذلك .

ويتبين مما نقله الأستاذ طرازى ، أن كثيرين من رجال الطوائف المسيحية ، أخذوا من القرآن الكريم طائفة من الشرائع وجعلوها فى شرائعهم فقد قال حضرته :

« أقبل فريق كبير من أئمة النصارى وعلمائهم ومفكريهم ، على دراسة القرآن ، فدققوا النظر فى سوره وآياته . وأمعنوا وتعمقوا فى نواميسه وشرائعه . ثم كتبوا عنه الشىء الكثير أو القليل فى تصانيفهم وفتاويهم ، واتخذوه دستوراً فى بعض القضايا والفرائض الدينية .

مكتبتنا العربية

وتفرغ بعض جثالقة النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية لملتهم ، استمدوها من أحكام القرآن وسننه ، ومن أقدمهم الجاثليق حنيشوع الأعرج (٦٨٦ - ٧٠١ م) ، ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ - ١٢٠٠ م) ، عدة أحكام مدنية استخلصها من القرآن ، وجرى بموجبها أبناء ملته ، وجاء بعده أبو الفرج ابن العبرى (المتوفى سنة ١٢٨٦ م) فخلف فصولا ممتعة فى الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن ، وقد أثبت زبدتها فى تاريخيه المدنيين ، ولا سيما فى مؤلفه المشهور بكتاب « الهدى » ، وهو دستور تمشى عليه أبناء ملته فى العصور الغابرة وما برحوا يسيرون بأحكامه حتى اليوم .

وطفق الأستاذ فليب طرازى يسرد أسماء الذين نقلوا الشرائع عن القرآن الكريم ، والذين درسوا علوم القرآن وحققوا فضل القرآن على العرب جميعا والعالم أجمع ، إلى أنه قال :

وإذا انتقلنا من الشرق إلى الغرب رأينا رهطا من نوابغ المستشرقين ينافسون المسلمين فى درس القرآن وشرحه وتحليله ، ويعتنون بتدوين تواريخه واكتناز مخطوطاته ويبكرون إلى ترجمته وطبعه ، ومن ذلك أن المستعرب بابا غانيني طبع القرآن فى مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر ، وعدت طبعته العربية هذه باكورة طبعات القرآن برمتها ، ونشرت مطبعة ليدن بهولندا سنة ١٦١٧ سورة يوسف وهى السورة الثانية عشرة من سور القرآن ، وهى أول طبعة عربية أبرزتها مطابع أوربا بالشكل الكامل .

* * *

ولقد نقلت كل ما تقدم ، لأسائل نفسى ، وأسائل أولياء الأمور : ما الذى عملناه نحن لنشر الإسلام ، وإذاعة مبادئه العادلة فى العالم ؟ إن بعض كبار رجالنا من ذوى الرأى ، يهتزون اهتزازات عصبية ، إذا قلنا إننا نود تشريعاً إسلامياً ، ليعرف الناس فضل الإسلام فى العالم ، وانقضى على المبادىء الشيوعية الهدامة ، ومع أن هؤلاء المفكرين مسلمون جغرافياً فالظاهر أنهم لا يعلمون شيئاً عن أسرار الإسلام وسننه ومبادئه ، ولو أنهم درسوا قليلا من الشريعة الإسلامية ، ومن سير مشرعى الإسلام ، أو أصحاب المذاهب الإسلامية ، لخجلوا من عنجهيتهم السخيفة ، وها هو ذا سفير مصر فى أمريكا يقول إنه حاضر عن الإسلام ، فى عقر دور المسيحية ، فماذا لقى ؟ ! لقد لقى كل ترحيب وكل عناية ، مما جعله يطلب من رجال الأزهر العمل على نشر الإسلام فى تلك الربوع ، التى وجد فيها استعداداً لقبول مبادىء الإسلام السمحة ، وشرائعه الحكيمة .

مكتبتنا العربية

وإذا شككنا فى أقوال السفير ، لأنه مسلم ، فها هى ذى أقوال وأفعال المسيحيين أنفسهم ، بل ها هى ذى مآخذهم عن الإسلام ليتخذوها شرائع لهم ننقلها عن رجل مسيحى فاضل اشتهر بأنه مؤرخ مدقق ، فماذا بعد هذا كله ؟ ! ألا يحق لنا بعد هذا كله ، أن نطالب بأن يكون التشريع الحديث ، تشريعاً مطابقاً لاصول الإسلام وسننه وقواعده ، ومعلوم أن الإسلام جمع فضائل وقواعد الشرائع الإلهية السابقة وهى : اليهودية ، والنصرانية . ويحضرنى فى هذا المقام كلمة سمعتها من عمى السيد محمد رشيد رضا رحمه الله عن ناظرة للمدرسة السنية وكانت بريطانية فى عهد دنلوب صاحب المبادىء الاستعمارية الهدامة للوطنية ، فقد رأت تلك الناظرة الفضلى أن العمل جار على خروج البنات المسيحيات من الدرس فى أثناء إلقاء الدروس الإسلامية ، فاعترضت على ذلك ، وقالت ما معناه : « إننى لا أوافق على خروج البنات القبطيات من حصة الدروس الإسلامية ، لأننى لم أر فى برامج تلك الدروس ما يخالف الشريعة المسيحية ، بل إننى أرى أن الآداب التى تتضمنها تلك الدروس ، تتفق تمام الاتفاق مع الآداب المسيحية » . فعلم بذلك دنلوب فهاج وماج وعمل على تنحية تلك الناظرة وإعادتها إلى بلادها بعد ما قال لها : « لقد جئت لمحاربة أعمالنا كلها باتحاد العنصرين !! » .

إن التشريع الإسلامى ، وإن العمل بآداب الإسلام ليحترم المسيحية والمسيحيين أشد الاحترام ، وحسبك أن تعلم أن القرآن الكريم يحرم على أتباعه سب ما يدعون من دون الله أيا كان ذلك المدعو أو المعظم ، عملا بقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون » . (١٠٨ الأنعام) .

فالشريعة التى تقول لأتباعها : دعوا كل عامل وما يعمل فحسابه ليس عليكم وإنما حسابه عند ربه ، والشريعة التى عومل المستظلون برايتها خير معاملة ، والشريعة التى رد رجالها الأموال الأميرية إلى المستظلين بحكمها يوم عجزوا عن حمايتهم ، لهى شريعة مثالية تليق أن يستظل الجميع تحت رايتها ويتمتعوا بعدلها الفطرى وفضائلها السامية ، فهل يحرم مع هذا على أهلها الاحتكام إلى أحكامها مع أن بعض الطوائف الأخرى أخذت شرائع لها منها كما بينا فيما تقدم نقلا عن الأستاذ فيليب دى طرازى .

تفكروا يا أيها القوم والله ولى التوفيق .

محيى الدين رضا

مكتبتنا العربية

الفتاوى

خطبة الجمعة بغير العربية

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

إن بلادنا تحتوى على اثنتى عشرة مقاطعة ، وفيها زهاء ثلاثين مليون مسلم يقيمون شعائر الإسلام ، مع أن اللغة المستعملة عندنا غير العربية .

فالسؤال الأول — هل يجوز إلقاء خطبة الجمعة بلغة غير عربية ، إذ الذين امتلأت بهم المساجد لا يستفيدون من الخطبة بالعربية شيئا ، مع أن الخطبة إنما جعلت لطرفى الإنذار والتبشير ، وإن لم يجز إلقاؤها فما المانع ؟

ثانياً — هل يجوز تفسيرها بغير العربية بعد إلقائها قبل الصلاة ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الطلبة السنغاليون بالجامع الأزهر
عنهم أبو بكر أحمد محمد مختار
والقاسم البيهقى

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا يشترط فى خطبة الجمعة أن تكون باللغة العربية عند أبى حنيفة وهو رأى عند الشافعية لأن المقصود من الخطبة هو الوعظ والإرشاد وذلك إنما يحصل باللغة التى يفهمها السامعون .

وبناء على ذلك ترى اللجنة — تحقيقاً للغرض من الخطبة — أن يتعين إلقاؤها باللغة التى يفهمها القوم .

مكتبتنا العربية

ولا يفوت اللجنة فى هذا المقام أن توصى قادة الشعوب غير العربية أن يبذلوا جهدهم فى تعليم الناس اللغة العربية ليتيسر لهم فهم القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام والانتفاع بما فيهما من أحكام وآداب ، وليتحقق بذلك رباط التفاهم بين المسلمين فى جميع الأقطار وهو أقوى مظاهر الوحدة التى حث عليها القرآن .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم .

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد الفتاح العنانى

(مجلة الأزهر) نزيد على الشطر الأخير من الفتوى أن شيخ الإسلام ابن تيمية نبه فى كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) إلى أن طريقة سلف هذه الأمة من أيام الصحابة والتابعين ، قامت فى جميع بلاد الإسلام على إرشاد الأمم الإسلامية إلى أن تكون العربية لغتهم ، للحكمة التى أشارت إليها الفتوى ، أى تيسير فهم القرآن والحديث النبوى مباشرة بقدر الإمكان .

ومن ذلك يفهم أن سياسة الإسلام فى هذا الباب هى نقل الأمم إلى الإسلام لتفهمه بنفسها من لغته مباشرة ، لا نقل الإسلام إلى الأمم بترجمات قد يتشبث بها الرأى وتختلف الفهوم ويضيع الغرض الأول من وحدة المسلمين وتثبيت الأخوة بينهم ، وعلى كل حال فإن الغرض من خطبة الجمعة فهمها بأى حال .

****

زكاة المال الشرعية غير الضرائب

والصلاة فريضة بدنية لا تغنى عنها فدية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

أرجو إفادتى فى أمر زكاة المال الآن التى قدرها الشارع باعتبار أنها ربع العشر ، فى حين أن الأموال المقول عنها هى نتيجة محصول أطيان وإيجار مساكن تؤخذ عنها الضريبة سنوياً ، خصوصاً وأن الضرائب لا يستهان بها الآن .

مكتبتنا العربية

كما أرجو إفادتى عما إذا كان هناك قول بدفع شيء من المال نظير ما فات المرء من صلوات لم يؤدها ، وإن وجد قول ففى أى مذهب ؟ وفى حالة ما إذا لم يؤدها لعدم قدرته على الأداء مع ملاحظة أن القدرة شرط التكليف فكم يدفع عن اليوم الواحد أى الخمس الفرائض أو عن الفرض الواحد ؟

الشيخ عبد الحكيم محمد خليفة
شارع سعد زغلول — بنى سويف

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد عن السؤال الأول — بأن زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصابا وحال عليه الحول ، ومصرف هذه الزكاة مبين فى قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... » الآية .

أما الضريبة التى تتقاضاها الحكومة من أصحاب الأموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عن إخراج الزكاة الواجبة .

وعن السؤال الثانى — بأن الصلاة من الفرائض البدنية التى فرضها الله تعالى تهذيباً للنفوس كما قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، فلا يجوز للمرء تركها بحال من الأحوال .

وقد راعت الشريعة السمحة فى أدائها التيسير على الناس ففرضتها من قيام على القادر عليه ، فإن عجز عن القيام أداها من جلوس ، فإن لم يستطع ذلك أداها مستلقياً على ظهره أو مضطجعاً مع الإيماء والإشارة برأسه أو بعينيه إن لم يستطع الإشارة بالرأس ، فإن لم يستطع أداءها بوجه من الوجوه فقط سقط التكليف بها .

ومن هذا يتبين أن من استطاع الصلاة بوجه من الوجوه التى بيناها ولم يؤدها فهو آثم ، ولا يغنيه عن ذلك فدية ولا أى عمل من الغير .

وهذا هو ما تفتى به اللجنة ، والله أعلم .

٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد الفتاح عنانى

مكتبتنا العربية

لماذا صار المسلمون هدفاً للمستعمرين ؟

الإسلام يحض على التماسك والترابط والألفة بين القلوب

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

تفضل فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر فأدلى بالبيان التالى إلى جريدة (الأهرام) ونحن ننقله عنها . قال :

إن مصر وجميع أقطار العالم الإسلامى تجتاز الآن دوراً من أعظم أدوار التاريخ ، وكلما أدرك أهلها واجبهم ، ووطنوا أنفسهم على القيام به ، وبذل التضحيات الثمينة فى سبيله ، عجل الله لهم بثمراته الطيبة ، وكافأهم بأضعاف ما كانوا يأملون . والإسلام قد تكفل لأهله بالتوجيه السليم إلى كل ما يقيم لهم الكيان القوى ، والمجتمع الصالح ، والدولة العادلة المهيبة . ولو أنهم لم ينحرفوا فى العصور الأخيرة عن التوجيه الإسلامى فى أنفسهم وجماعاتهم وحكوماتهم ، لما وجد الاستعمار سبيلا إليهم ، فقد أراد الإسلام لأهله أن يكونوا أقوياء بالإيمان الصحيح والأخلاق الكريمة والعمل الصالح ، وأقوياء بالاستعداد الحربى والتأهب دائماً للدفاع عن كيان الأمة وحقوقها . وقد كانوا بالفعل هم أهل العزة فى الأرض ، والهيبة فى عيون الأمم ، عند ما كانوا منقادين لهذا التوجيه الإسلامى وعاملين به . فلما تهاونوا به فى المئات الأخيرة من السنين ، وقصروا فى الاستعداد من كل نواحيه ، لتقصيرهم فى معرفة الحقوق التى أتاحها الإسلام لهم ، والواجبات التى أوجبها عليهم ، طمعت دول الاستعمار حينئذ فى استعبادهم واستغلال خيراتهم ، وتذرعت بأوهى الأسباب لبسط سلطانها عليهم ، وكان ما قد حدثنا عنه التاريخ من استيلاء الهولنديين على جزائر أندونيسيا قبل نحو ثلاثمائة

مكتبتنا العربية

سنة ، ومحاولة البرتغاليين السطو على سواحل العالم الإسلامى ، وتوغل الإنجليز فى الهند وغيرها ، واستيلاء فرنسا على الجزائر ثم على بقية بلاد شمال أفريقيا . وهذا كله لتقصير المسلمين فى معرفة مالهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات التى بينها الإسلام لهم ، ثم لتهاونهم فى متابعة التوجيه الإسلامى أفراداً وجماعات وحكومات . ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى ذلك بنور الله عز وجل من وراء العصور الكثيرة ، ويصدر فى بيانه لأمته عن وحى صادق من الله فيما أنذرهم به ، وذلك فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ثوبان مولى رسول الله وقد رواه عن ثوبان أيضاً الإمام أبو داود فى الباب الخامس من كتاب الملاحم من سننه أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » .

فالمسلمون لما وهنت قلوبهم فى العصور الأخيرة لإيثارهم توافه الدنيا على المثل العليا ، ولتهيبهم الموت فى سبيل حقائقهم وحقوقهم ، نزع الله حينئذ من صدور الأمم ما كان يملأها من مهابة المسلمين بسبب ما شاهدوه من موت هممهم وانحطاطهم فيما كان أسلافهم يمتازون به من سمو الخلق وعلو النفس والغيرة على الحقوق والحقائق ، فأصبح المسلمون بسبب ذلك كالغثاء التافه الذى يطفو على سطح الماء فى الأنهار ومجارى السيول . وحينئذ طمعت فيهم الأمم المستعمرة ، وتداعت لالتهامهم كما يتداعى الجائعون إلى التهام الطعام . ثم كان ما كان من جثوم الاستعمار كالكابوس البغيض على صدور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإن كان المحتل يجد فى من ينتمى إلى الإسلام قلوباً يقلبها بأصبعه كما يشاء ، وألسنة يحركها فى أغراضه كما يريد ، فإن تلك القلوب وتلك الألسنة - إلا من عصم الله أصبحت مأمورة بالشعور الذى يريها الحقوق رأى العين ويمنعها من أن تستخدم إلا فى صالح المحتل وتمكنه من احتلال ما شاء . وفى الأمثال البديعة : أن أشجاراً رأت فأساً ملقى بجانبها ، فانزعجت منه ، فقالت لها شجرة منهن ، لا تخافوا منه ، فإنه لا يكسرنا إلا إذا دخل فيه عود منا .

مكتبتنا العربية

والآن وقد أخذت اليقظة تدب فى أرواحنا وانتشرت الدعوة بيننا إلى معرفة حقوقنا والاستمساك بها والتعويل على الدفاع عنها بأى ثمن ، فقد أصبح من الواجب على كل فرد منا أن ينتظم فى صفوف هذا الدفاع فى كل مكان . وقد رأى المسلمون بعد الحرب العالمية الأخيرة كيف أن الله عز وجل كافأ أهل كل قطر إسلامى هب للدفاع عن حقوقه ، فوهبه الظفر بأمانيه ، والتوفيق بالحصول عليها بأسرع مما كانوا يأملون . وإن قيام دولتى أندونيسيا وباكستان أعظم شاهد ملموس فى هذه السنوات على صدق ما وعد الله به الذين يجاهدون فى سبيل حقوقهم من المسلمين . ومن سنة الله فى هذه الأمة أن يعلى مقامها ، على قدر ما تعرف من حقوقها وتؤديه من واجباتها . والدنيا كلها بين حق وواجب ، وما ضاع حق سعى له أهله من طرقه المعقولة الحكيمة ، ولم يخيب الله أمة قامت له بما يجب عليها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لغة العرب وعلومها

قال (فريتاغ) الألمانى فى مقدمة معجمه الكبير فى اللاتينية والعربية :

« ليست لغة العرب أغنى لغات العالم وحسب ، بل إن الذين نبغوا فى التأليف بها لا يكاد يأتى عليهم العد ، وإن اختلافنا عنهم فى الزمان والسجايا والأخلاق ، أقام بيننا — نحن الغرباء عن العربية — وبين ما ألفوه فيها حجابا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة » .

والعلامة فريتاغ يقول هذا عن تراث أمة أباد الدهر أغلى تراثها وأجوده ، فكيف به لو شاهد وشاهدنا معه كل ما ألفه العرب والمسلمون من بدء التأليف إلى الآن ؟ !

مكتبتنا العربية

البحث في صدر الإسلام

— ٢ —

ومن لم يرو رمحه من دم العدى إذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقه ويبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة وإن مات لا يجرى دموع النوادب

٣ — خبرتهم بعلم الملك وعلم القيافة :

نشأ العرب فى البادية وحياتهم كلها ترحال وانتقال من مكان إلى مكان وراء الرزق والمرعى ، وكانت لهم تجارة بالقوافل . ولم يكن عندهم آلات للرصد يستخدمونها فى سيرهم بل كانوا يعتمدون على الطبيعة وعلى ما فيها من ظواهر وكواكب وأفلاك ، وصارت عندهم خبرة بمسالك الصحراء ودروبها ، السهل منها والوعر ، لكثرة ما تنقلوا فيها ، وكانوا أعلم بأماكن المياه ومواردها لشدة حاجتهم إليها فى أسفارهم .

وكان من علومهم « القيافة » ، وهى تتبع آثار الأقدام والحوافر وكانت لهم فراسة فى هذا ذاعت فيهم .

٤ — حدة البصر وقوة السمع :

لا شك أن حاستى الإبصار والسمع كانتا عند العرب مكتملتين لجميع عناصر القوة ، فقد كانت حواس العربى طليقة تعيش على سجيتها ، لم تصطدم بما يضعفها أو يؤثر فى قوتها من مظاهر المدنية من أنوار وضجيج وغير ذلك .

ويقترن بحدة البصر براعتهم فى رمى القوس ، والقصة التى نرويها الآن خير دليل : خرج أعرابى للصيد فصاد ضباً فعلقه على ظهره ثم مر بخباء ليس فيه إلا عجوز ، فجلس فلما أمسى حضر شيخ كبير يسوق إبلا كثيرة فلما رآه رحب به وأكرم مثواه ثم ناموا ، فانتهز الأعرابى هذه الفرصة وقام إلى الإبل فربط أحدها ببعيره وخرج تتبعه سائر الإبل ، وأسرع

مكتبتنا العربية

الرجل فى سيره يرجو أن يصل إلى مكان أمين بينه وبينه مسيرة ليلة ، فلما طلع الفجر أبصر ذلك المكان فإذا عليه سواد ، فلما دنا وجد الشيخ قاعداً وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا ؟ قال : نعم . قال : استخر نفسك عن هذه الإبل . فقال : لا .

فأخرج الشيخ سهماً وقال : انظر بين أذنى الضب المعلق فى ظهرك . ثم رماه فصدع عظامه من دماغه ثم قال : ما تقول ؟ قال : أنا على رأيي الأول ... فقال انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدر بيده ثم قال : ما رأيك ؟ فقال : إنى أحب أن أستثبت . قال : فانظر هذا السهم الثالث فى عكوة ذنبه ، والرابع والله سيكون فى بطنك . ثم رماه فلم يخطئها . فلم يسع الأعرابى إلا أن يرد الإبل لصاحبها وهو خائف يرتعد .

• — صفاء الذهن :

كان ذهن العربى صافياً كصفاء الطبيعة من حوله ، مشرقاً كإشراق الشمس والنور ، لم يصطدم بما يغبر صفحات العقول ، ويكدر مرايا الأفكار من دخان الحضارة .

وإذا تحققت هذه الصفة فى الجندى كان أقدر من غيره على فهم الأوامر ، وعلى تدبير الحيلة ، وحسن التصرف ومعالجة الأمور ...

بهذه الصفات الفطرية التى ذكرناها دخل العربى المدرسة الإسلامية ، فتناول الإسلام هذه الطبيعة ، وهذه المواهب بالتهذيب المستبصر ، والتوجيه الصحيح ، ناشداً فيهم أعلى الفضائل على ما سنذكره فيما يلى ، حتى أخرج من هذا العربى جندياً عظيماً ، وبطلا قاهراً ، وفارساً مغواراً .

١ — الفضائل ومكارم الأخلاق :

تولى رسول الله ﷺ إرشاد العرب الذين دخلوا المدرسة الإسلامية ، إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ولقد تجلى ذلك بكل معانيه فى معاملته لهم بأخلاقه وفضائله ، فكان لهم خير أسوة يحرصون عليها الحرص كله ، والأسوة خير مرشد ، على أنه لم يكلهم إلى ذلك فحسب ، بل كان يتعهدهم بالإرشاد إلى الخلال الحميدة ويمرنهم على الأخذ بها حتى تصير ملكة وخلقاً ، وحتى يتنافس فيها المتنافسون .

مكتبتنا العربية

انظروا إلى قوله : « ثلاث من كن فيه استوجب الثواب ، واستكمل الإيمان : خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل » .

وإلى قوله : « إن أحبكم إلى وأقربكم منى منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » .

ولقد غرس النبي فى المسلمين مبادىء قوة العزم والرأى واستقلال الفكر ، والاعتماد على النفس ، ولم تلبث ثمار هذا الغرس أن ظهرت وأينعت ، فلم يجد عليه الصلاة والسلام فى أصحابه ضعفا فى مواقف الجد ، لم يجد هممهم فاترة ، وعقولهم قاصرة كما وجد موسى عليه السلام فى بنى إسرائيل ، ذلك الخور الفاضح حين ذهب بهم إلى العدو فإذا بهم ينكصون على أعقابهم ويخاطبونه بلسان الخائن الجبان : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » كلا لم يجد من أصحابه مثل هذا ، بل وجدهم يقولون « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

٢ — الشورى :

لما كان استقلال القائد بالرأى ، يشعر باستبداده وترفعه ، وعدم مبالاته أو تقديره لرجاله ، ويورث الغضاضة ويستثير الحفيظة ، اقتضت شريعة الرسول الحكيمة أن يعامل أصحابه بمبدأ الشورى ولا سيما فى أمور الجهاد ، إذ أن ذلك يشعرهم بمكانتهم عنده ، واعترافه بصحة رأيهم وشدة إخلاصهم : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية (وشاورهم فى الأمر) قال النبي ﷺ « إن الله ورسوله غنيان عنها ، ولكن جعلها رحمة فى أمتى ، فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا » .

ولقد جعل الله تعالى الشورى أساساً للحكم فى الإسلام وأمر نبيه بها ، وامتدح القائمين بها فى قوله (وأمرهم شورى بينهم) . فأخذ الرسول يسوس المسلمين بها ، بل كان يتنزل معهم إلى أبعد من ذلك : روى أنه كان فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة ، فقال رجل : يارسول الله علىّ ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال الرسول : وعلى جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفونى ، ولكننى أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

(يتبع)

يوزباشى أركان الحرب

محمد جمال الدين محفوظ

مكتبتنا العربية

رسول الله في الطائف

تمر كتب السيرة على رحلة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف مروراً عابراً مما جعل كثيراً من المسلمين القارئين لها يفهمون أن هذه الرحلة كانت من الرحلات السهلة الهينة ، ويعتقدون أنها كانت رحلة إلى ضاحية من ضواحى مكة ، مع أنها كانت أقسى رحلة وأشقها على رسول الله ، وأشهد أننى كنت ممن يفهمون هذا الفهم الذى وجدته عند كثير من المثقفين حتى حضرت إلى مكة فى العام الماضى وتقرر أن يكون عملى فى الطائف ، وكنت إلى تلك اللحظة أعتقد أنها على بعد يسير من مكة ، ولكن بعض العارفين أخذ يعطينى فكرة عن الطائف فعرفت منه أن السيارة تقطع إليها من مكة ما يقرب من ١٥٠ كيلو مترا فدهشت وتساءلت : وهل قطع الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الطريق الذى نقطعه الآن ؟ إننا كنا نظن أنه ذهب إليها وعاد منها فى يوم أو فى ضحاه ! ! قال : إن الرسول قطع المسافة إلى الطائف من طريق أخصر من هذا قليلا لا تسير فيه السيارات الآن وهو يقرب من مائة كيلو متر يقطعه الناس اليوم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب ! ! قلت إنها مسافة طويلة جداً عما كنا نظن ، وإنها لرحلة شاقة ومتعبة لابد أنها أخذت أياما قاسية من حياة الرسول ﷺ .

ثم رجعت إلى كتب السيرة فوجدت ابن هشام يذكر عن هذه الرحلة « ولما هلك أبو طالب - بعد وفاة خديجة - نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده » .

إذن كان الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة فى أزمة نفسية ، وكان فى شدة بلغت أوجها بعد أن فقد النصيرين : الزوجة التى كانت تتلقاه فى البيت بصدر حنون وقلب شفيق فتزيل عن نفسه المجهدة المتعبة كثيراً من الهم والتعب : ثم تبعها العم الذى كانت تخشاه قريش فتمنع عن محمد - كارهة - كثيراً من سفاهتها . فوجد الرسول نفسه بعدهما فى أتون اتقدت ناره ،

مكتبتنا العربية

وتشعب لهيبه ، وأصبح بمكة وقد انطلق عليه سفهاؤها وتناولوه بالإيذاء والاعتداء فإذا رجع إلى بيته وجد الحزن يخيم على جوانبه ، فثارت فى نفسه ذكرى الزوج الوفية فتمتلىء نفسه من الهم ، وتفيض عينه من الحزن ، ويبحث حوله عن نصير فى الخارج أو مواس فى الداخل فيعز عليه النصير والمواسى ، ويفكر فى الدعوة التى حمله الله أمانتها - وهل يفكر إلا فيها - ويحاول أن يجد لها متنفساً بعد أن ضيق القرشيون عليه الخناق ولم تعد مكة بيئة صالحة لنشر دعوته ، فإلى أين يذهب وقد بلغ الأمر منتهاه ؟ وفكر الرسول فوجد أنه فى الجنوب الشرقى من مكة قوم من ثقيف يقطنون « الطائف » وبينهم وبين قريش عداء ربما يساعد على احتضان دعوته وهم إن استجابوا كانوا نعم العون والنصير .

ولابد أن الرسول مرت به حالة من التفكير العميق فى هذه الرحلة ونتائجها ، وإن الإنسان ليتصور الحالة النفسية التى كان الرسول يمر بها فى هذه الآونة : كيف يذهب ؟! وهل يستجيب له هذا الحى من العرب بعد هذا السفر الطويل ؟ إن هذا هو الأمل ! ! ولكن كيف يكون موقفه إن تنكروا له ؟ ! ثم كيف تكون عودته إلى مكة حينئذ ؟ ! وماذا يفعل الشامتون ؟ ! لابد أن الرسول قد فكر فى هذا كله ومرت بنفسه فترات من الأمل المشرق له ولدعوته حينا ، فتنبسط أسارير وجهه ، وتشرق جنبات نفسه ، ويتصور المستقبل الباسم للإسلام ، وحينا تمر به صور اليأس من استجابتهم ومن النتائج المرة التى تتبع إعراضهم فتمتلىء نفسه هماً وحزناً وخوفاً من هذا المستقبل القاتم ! ! ولكن هل يستسلم لهذا الجانب المظلم ويقعد خوفاً من إعراضهم ومن النتائج المؤلمة التى تترتب عليه ؟ كلا ! ! إنه عليه الصلاة والسلام لا يترك فرصة أمامه لدعوته إلا انتهزها ، وليكن بعد ذلك ما يكون من مصاعب ومشاق فكل شىء يهون احتماله فى سبيل دعوة التوحيد .

وجاء الوقت المحدد فخرج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف وحده وبدأ رحلة المشاق والمتاعب ليس معه أحد إلا ربه الذى يرعاه ويحفظه ، لقد تصورت الرسول سائراً بين الجبال يحمل عبء الدعوة وهو ينقل خطاه صاعدا فوق الجبال أو هابطاً منها ، تصورته حينما كنت أنظر لما حولى من السيارة التى تنهب بى الأرض نهبا إلى الطائف .

نعم تصورته عليه الصلاة والسلام وحيداً يقطع هذه المسافة تحت ثقلين من تعب النفس وتعب الجسم . إذا رأيت عربياً يسير هنالك فى بطن الجبل يعلو ويهبط ، قلت : ألم يكن الرسول تضمه الجبال كهذا الرجل ؟ كان يسير فى الشمس المحرقة وفى ظلمات الليل البهيم ، لا يؤنسه شىء إلا تفكيره فى ربه واتصاله بخالقه وحارسه . من كان يظن حين يراه

مكتبتنا العربية

أنه يحمل أمانة ربه ؟ ! ومن كان يظن حين ينظر إليه أن ينظر إلى المثل الأعلى الإنسانية إلى الرجل الذى اختاره الله ليبلغ رسالة السماء وليكون خاتم الأنبياء ؟ ! من كان يظن حين ينظر إلى هذا الرجل العربى — كأى عربى تضمه هذه الجبال — أنه ينظر إلى الرجل الذى سيهز العالم بأسره وأن لفظ الخلود سيقترن بمبادئه واسمه ؟ من كان يفكر ممن رآه أن هذا الرجل سيجذب الملايين إليه وإلى دعوته، وأن هذه الملايين من خارج الجزيرة ستؤمن به قائداً ومنقذا وشفيعاً ؟ ! من كان يفكر أن هذا الرجل العربى الذى يسير وحيداً فى فيافى الجزيرة القاحلة سيحيى مواتها ويجعلها مهوى الأفئدة فى جميع أنحاء العالم ، ويجعل لغتها التى تحاصرها الجبال فلا تخرج إلى ما وراءها — لغة عالمية خالدة تتعصب لها دول وشعوب ، وتطرق المجامع الدولية ، وتبعثها موجات الأثير من كل ناحية ، وتصبح بفضله لغة شعوب ولسان حضارات ؟ ! نعم من كان يظن حين ينظر إلى هذا الذى يسير مثقلا بالهموم أنه سيفعل كل هذا ؟ !

كانت هذه خواطر مرت بى سريعا سرعة السيارة التى أركبها ، وقلت لا أشك فى أن كل من رآه مر عليه كأى عربى يمر عليه بالليل والنهار ؛ ولم يكن يعلم أية نفس يحمل هذا الرجل ، ولا أية رسالة يؤديها ! !.

قطع الرسول ﷺ هذه المسافة الطويلة المتعبة ، ولا شك أن الأمل كان يدفعه فى كل خطوة من خطواته ، الأمل فى أفق جديد لدعوته ، ولا شك كذلك أنه كان مع هذا الأمل شىء غير قليل من الخوف ، الخوف من الفشل ؛ كان الرسول يؤمل أن تنضم إليه ثقيف وتنصر دعوته ضد أعدائه وأعدائها بعد أن عز عليه النصير فيهم ، ولكن هذا الأمل كثيرا ما كان يختنق أمام عوامل القلق والخوف من إعراضهم وصدودهم ، وهذه حالة لم تمر بحياة الرسول قبل ذلك ولا بعده ، فقد كان يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج ، ولكنه لم يتكلف سفرا كهذا السفر ، ولم يلجأ مع ذلك إلى أعداء قريش كما لجأ هذه المرة ؛ وقد سافر بعد ذلك إلى المدينة ، ولكنه لم يخرج إليها إلا بعد أن اطمأن إلى مركزه فيها وأرسل طلائعه يعلمون أهلها الإسلام فكانوا محل الرعاية والعناية ، ومكث مدة تكونت فيها جماعة إسلامية تفوق أصحابه بمكة ، فلم يكن إذن حين سافر للمدينة محل خوف أو قلق من المصير المجهول ، ولكنه كان مطمئنا إليها عازما على الإقامة فيها .

وأقبل الرسول عليه الصلاة والسلام على الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة ، [1] أقبل عليهم الرسول ونفسه متجهة إلى الله أن

[١] سيرة ابن هشام .

مكتبتنا العربية

يهديهم سواء السبيل ويهدى بهم من وراءهم من قومهم ، ولكن قلوبهم كانت مغلقة ، ونفوسهم كانت متكبرة ، حتى ليقول له أحدهم فى سخرية واستهزاء ، وكأنما عز عليه وهو السيد الكبير أن يرى هذا القرشى اليتيم رسولا من الله يدعوه إلى هذا الأمر العظيم فيقول له : « أما وجد الله أحدا يرسله غيرك »[1] كأنما ظن أن الرسالة تتبع الجاه والمال ، فاهما أنها ملك وسلطان ، وقد جهل المغرور أن « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وكانت هذه نغمة سائدة فى الناس حينئذ حكاها القرآن ورد عليها حين قال « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! ! أهم يقسمون رحمة ربك ؟ ! » ، وكان هذا الرد من الثقفى الكبير الذى يحمل كل معانى الاستخفاف والاستعلاء صدمة لآمال الرسول عليه الصلاة والسلام فى القوم ، وصدق الله العظيم « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ، « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، وكانت نتيجة مريرة على نفسه العظيمة ، فقد قطع الآمال الطويلة والأمل يحدوه ، ومن ورائه قريش لا بد أنها سترقب فى لهفة أمر هذه الرحلة بعد أن تدلم بها وتتوق إلى فشلها ، حتى تشمت كما تحلو لها الشماتة ، وتزداد فى عتوها . والرسول عليه الصلاة والسلام يحس كل هذا ويقدره حتى لنجده يقول لهؤلاء الثلاثة المتكبرين من ثقيف بعد أن يئس منهم : « إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيثبطهم ، يحزنهم ، عليه »[2] .

إن الرسول قد لقى إعراضا وصدودا من كثيرين قبل ذلك ، ولكنه ما كان يحسب لأى إعراض سابق ما حسبه لهذا الإعراض ؛ كان يدعو الناس فى موسم الحج ووراءه الصادون عن دعوته ينفرون الناس منه ، وما كان يقيم لهم وزنا ولا حسابا ، أما هذه المرة فتختلف ظروفها وأوضاعها ، لقد ترك مكة حزينا لفقد النصيرين واشتداد الإيذاء عليه ، وسافر طويلا إلى أعداء قريش والتجأ إليهم لعلهم ينضمون إليه ويدخلون فى دينه ، ولكنهم لم يستجيبوا فماذا تفعل قريش إذن ؟ وما مبلغ فرحها وشماتتها ؟ إنهم لا شك سيشمتون ، وسيزدادون عليه جرأة ، ومن هنا كان حزن الرسول وخوفه من إذاعة الخبر .

كل المصائب قد تمر على الفتى ... وتهون غير شماتة الأعداء

عبد المنعم النمر
مبعوث الأزهر وأستاذ التفسير بدار التوحيد بالطائف

---

[١] و [٢] سيرة ابن هشام .

مكتبتنا العربية

الحكم بما أنزل الله

****

خلق الله سبحانه النوع الإنسانى لعمارة الأرض وإصلاح الكون ، وركب فيهم عقولا وجعلها مناط التكاليف ، وخلق فى الإنسان غير القوة العقلية القوة الشهوانية والقوة الغضبية وغيرهما من الغرائز النفسية التى تضعف سلطان العقل وتقلل من شأنه ، بل تتغلب وتنتصر عليه فى بعض الأحايين ، ومهما سما العقل واكتمل فما هو بمستطيع أن يهدى المرء إلى جميع ما يحتاج إليه فى تحصيل السعادة الدنيوية فضلا عن الأخروية ، لقصوره عن إدراك هذه المنزلة ، فكان لابد للعقل من هاد يكمل هدايته ، ويرسم له الطريقة المثلى فى الحصول على الكمال الدينى والدنيوى ، وكان هؤلاء الهداة رسلا مبشرين ومنذرين يصطفيهم الله ممن زكت فطرتهم وكملت عقولهم ويفيض عليهم من أنواع وحيه ما يشاء ، فيأخذون بزمام العقل ويدلونه على المنهج الواضح والصراط المستقيم ، وهؤلاء الرسل يستمدون هدايتهم من المشرع الأعظم ، وهو الله سبحانه وتعالى العليم بما كان وما يكون ، الخبير بالنفس البشرية وغرائزها وطبائعها ، الحكيم فى كل شئونه وتصرفاته ، المنزه عن العبث واللهو والهوى والشهوة ، فلذلك كان تشريع الله عادلا كل العدل صادقا غاية الصدق ، لا يطرق ساحته خلل أو نقض أو إبطال ، وصدق الله حيث يقول « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » وهذا فرق ما بين شرع الله وقوانين الانسان .

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون رسالات الأنبياء السابقين محدودة بالزمان والمكان ، فجاءت شرائعهم ملائمة لزمان خاص ، ولبيئة خاصة . فلما بلغت البشرية كما لها العقلى وسن الرشد ولجأت إلى الله تطلب الغوث مما حاق بها من صنوف الفساد فى الحياة الدينية والخلقية والاجتماعية ، اقتضت رحمة الله أن يرسل خاتم النبيين وسيد البشر محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشريعة هى خاتمة الشرائع ، فجاءت على أتم وأكمل ما تكون شريعة فى الوفاء بحاجات البشر لتحصيل السعادة الدينية والدنيوية .

وجعل هـــذه الشريعة هى المهيمنة على الشرائع السماوية السابقة فما وافقها فهو الحق

مكتبتنا العربية

وما خالفها فهو مما تزيده المتزيدون ؛ قال سبحانه « أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » . والشريعة الإسلامية هى الشريعة العامة للبشر كافة الباقية على وجه الدهر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ؛ وصدق الله حيث يقول « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » . وفى الحديث الذى رواه البخارى « وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » . وهى التشريع الذى ارتضاه الله لإصلاح الكون ، والحكم بها بين الناس واجب محتم ، وهذا قول الله لنبيه محمد ﷺ « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » ؛ وقد شدد الله النكير على من لم يحكم بما أنزل الله ووصفه بأشنع الصفات وأعظمها إثما فقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وفى آية ثانية « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » وفى آية ثالثة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » [1] ، والآية الأولى - وكذا الثانية والثالثة عند من يحمل الظلم والفسق على أعلى أنواعهما - محمولة على من فعل ذلك مستحلا له طيبة به نفسه راضيا به قلبه : فهو الكافر ولا محالة وهو الظالم ، لأنه وضع الأمور فى غير موضعها ، وهو الفاسق لأنه فسق عن أمر ربه وتمرد على شرع الله وخرج بعمله من حظيرة الدين الحق إلى مباءة الهوى والباطل .

روى ابن جرير عن على بن طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق » وروى مثل ذلك عن عكرمة .

وهذه الآيات وإن ذكرت فى القرآن الكريم فى سياق الكلام عن التوراة والإنجيل والحكم بما أنزل الله فيهما ، والرد على من لا يرتضون حكم الله من اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمناً قليلا من الرشا وابتغاء الجاه ورضا الناس [2]

---

[1] الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

[2] ذكر الرواة أن السبب فى نزول الآيات ماحدث من أن يهوديا ويهودية زنيا وكانا محصنين وكان حكم التوراة الرجم ولكنهما كانا شريفين فلم يقيموا عليهم الحد ، وقد احتكم اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحاجهم وبين لهم أن حكم الله الرجم ، فلم يجدوا بداً من النزول على رأيه . وقيل إن السبب ما كان بين بنى قريظة والنضير من عدم التساوى فى القتلى وإعراضهم عن حكم الله إلى اتباع الهوى والشهوة .

مكتبتنا العربية

إلا أن حكمها عام ، إذ لفظها عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإلى القول بعموم الآيات وأنها ليست خاصة بأهل الكتاب ذهب كثير من السلف : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنها عامة فى اليهود وغيرهم ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : « نعم القوم أنتم ، ما كان من حلو فهو لكم ، وما كان من مر فهو لأهل الكتاب » وكأن ابن عباس يرى أن حكم الآيات يشمل المسلمين ويرد على من يقول إنها فى أهل الكتاب خاصة (١) .

وروى الحاكم وصححه وعبد الرزاق وابن جرير عن حذيفة رضى الله عنه أن الآيات الثلاث ذكرت عنده ، فقال رجل : إن هذا فى بنى إسرائيل خاصة ، فقال حذيفة : نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلوه ولهم كل مره ، والله لتسلكن طريقهم حذو النعل بالنعل » (٢) وأخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : « ومن لم يحكم ... ومن لم يحكم ... » قال : فقلت إنها نزلت على بنى إسرائيل ، ولم تنزل علينا ، قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال : « لا بل نزلت علينا » ولعل مراده بنزولها على بنى إسرائيل أنها نزلت فى شأنهم .

وكان الشعبى يرى تفريق الآيات على حسب الطوائف الثلاث ، روى ابن جرير عن الشعبى فى قوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » قال هذا فى المسلمين « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » قال هذا فى اليهود « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » قال هذا فى النصارى .

نعم روى عن بعض السلف أن الآيات فى أهل الكتاب وليس شىء منها فى أهل الإسلام ، ولعل مراد هؤلاء أنها نزلت فى شأنهم وقصتهم ، لا أن حكمها ليس عاما شاملا ، فإن من عمل من المسلمين بمثل عملهم فقد استحق أن يوصف بمثل ما وصفوا به ، بل المسلمون إن عدلوا عن الحكم بما أنزل الله فهم أحق بهذه الأوصاف من أهل الكتاب ، لأن شريعتهم وافية باقية ، وأدلة الأحكام عندهم متوافرة ، فليس لهم عذر فى الحكم بغير شرع الله وقد جعل الله سبحانه وتعالى الحكم بغير ما أنزل الله جاهلية جهلاء وضلالة عمياء فقال فى شأن اليهود الذين لا يرتضون حكم الله « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله

(١) تفسير المنار جزء ٦ ص ٣٠٤

(٢) تفسير الآلوسى جزء ٦ ط . منير

مكتبتنا العربية

حكما لقوم يوقنون ،[1] وصدق الله فلا أحد أصدق ولا أعدل من الله حكما عند ذوى اليقين والتفكر . وللشيخ العلامة ابن كثير فى تفسير هذه الآية كلام حسن أحببت نقله هنا أن يكون فيه وازع وعظة قال ، ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل الى سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم ، جنكز خان ، الذى وضع لهم ، الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام من مجرد نظره وهواه ، فصارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله[2] .

فالحكم بما أنزل الله والدعوة إليه أمانة فى عنق كل مسلم وسيسأله الله عنها يوم القيامة ، وعلى كل مسلم أن يجهر به ويطالب أولى الأمر بالعمل على تنفيذه ، وذلك عن طريق الحجة والإقناع وإثبات أن خير الشرائع لحكم الناس وصلاح الأحوال هو الاسلام الذى ارتضاه الله للناس كافة والذى أقام دولة الإسلام الأولى التى كانت ولا تزال مضرب الأمثال فى العدل والتراحم والأمن والسلام .

وإذا كان الله سبحانه قيض لهذه الأمة من أبنائها الأحرار الغيورين على مصالحها من رفع عنها نير الظلم والاستذلال ، وأراد تحريرها من أى سلطان أجنبى عنها سواء أكان فى السياسة أم فى الثقافة والتشريع والأخلاق ، فمن حقنا عليهم أن نرغب اليهم فى أن تكون القوانين التى تحكم بها تتفق هى وأمة إسلامية لها الصدارة بين الدول الاسلامية .

ولقد قدر لى أن أكون مبعوث الأزهر للتدريس ببلد الله الحرام ، وقد هيأ لى ذلك الالتقاء بكثير من رجالات الإسلام فكانوا يأخذون على مصر أنها لا تهتدى بهدى الإسلام فى كثير من شؤونها ، ويستكثرون على مصر بلد الأزهر العتيق ومنارة العلم والاسلام

---

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

(٢) تفسير ابن كثير جزء ثالث ص ١٧٤ ط المنار .

مكتبتنا العربية

أن يكون فيها كل هذا اللهو والفجور والمظالم والمخازى التى يندى لها جبين الانسانية الفاضلة ونحن الآن على مفترق الطرق ، فإما إلى طريق يحفظ لمصر مكانتها بين أربعمائة مليون مسلم ينظرون إليها كما ينظر الطير إلى اللحم ويحصون عليها كل كبيرة وصغيرة ، والطريق إلى ذلك سهلة قريبة لمن يتناول الامور بجد وعزم ، وإما إلى طريق أخرى تضيع علينا ما كسبناه فى مئات السنين ، وهذا ما لا نحبه ولا نرضاه .

نحن لا نريد قوانين تحمى الإلحاد والإباحية والرذيلة وما إلى ذلك من عوامل الهدم والفناء للأمم ، وإنما نريد تشريعاً يدعو إلى الإيمان والحق والعدل والفضيلة ، ويقرر القيم الأخلاقية العالية ، ويطهر المجتمع من أمراضه وأدرانه ، ويحيط الأعراض والدماء والأموال والعقول بسياج من الحفظ والرعاية ، نريد تشريعاً يقضى على الشفاعات السيئة والأثرة والرشوة والكسب الحرام والظلم واستغلال النفوذ والسلطان ، ويهدف إلى تحقيق العدل فى كل شأن من شؤوننا ، نريد حكما يقوم على الشورى الحقة التى نوه بها القرآن الكريم منذ قرابة أربعة عشر قرنا ، وأثنى على المتمسكين بها فى قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وأمر الله بها رسوله فى قوله « وشاورهم فى الأمر » .

وكل هذه الأصول الفاضلة لن نجدها متمثلة بأجلى صورها إلا فى شرعة الإسلام الحقة ، وبحسبنا قول رسول الرحمة وهادى الأمة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وفقنا الله جميعاً الى ما فيه إقامة الحق والعدل .

محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

أمر الله والقائمون عليه

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع ، ولا يصانع ، ولا يتبع المطامع . ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينتقص غربه ، ولا يكظم فى الحق على حزبه » .

مكتبتنا العربية

الحاكم في الإسلام

كانت الحكومة فى صدر الإسلام لمحمد ﷺ ، وكان المؤمنون يخضعون له عن رضى وإذعان ، وانقياد وقبول ، فهو الذى يقضى بين المتخاصمين ، ويؤلف بين المتنافرين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويقيم الحدود ، وينفذ الأحكام ، والأمر كله له دون منازعة أو خلاف « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وعلى الرغم من أنه كان أمينا على الوحى ، منفذا لكلمة الله فيما ينزل به جبريل ، لم يكن فيه استبداد الرؤساء ، ولا كبرياء المسلطين ، ولا زهو الحكام ، إنما كان يضع نصب عينيه فى كل حالاته أن مهمته الإنقاذ من التردى ، والانتشال من التورط ، والهداية إلى الصواب ، والإرشاد إلى ما يجب أن يكون ، وأنها رسالة ألقيت مسئوليتها على عاتقه من الله الذى له ملك السموات والأرض ، وحين يمتثل تكليفه إياه ، ويستجيب لإلزامه له « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، لا يجد نفسه بحاجة إلى الامتنان عليهم ، لتأخذه العنجهية ، ويهزه الصلف ، لأنه أسدى معروفا ، وقدم غنما يحصلون فائدته ، ويجنون ثمرته : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

لهذا فإن أول ما أدرك العرب من معانى الشورى كان بما رأوه من النبى الكريم ، الذى لم يكن يأبى أن يعرض المسألة على أصحابه يناقشونه غير متبرم بمناقشتهم ، أو حاقد لجدلهم . وقد حصل فى بدء استعداده لملاقاة المشركين ببدر أن نزل بعيداً عن البئر المسماة بهذا الاسم ، وقال له أحدهم : أهو وحى نزل عليك ، أم رأى رأيته ؟ فقال : بل هو الرأى ، فقال : لننزل على الماء لئلا يحول العدو بيننا وبينه ، وبذلك تضعف شوكتنا ، وتفتر همتنا ، وتلحق بنا الهزيمة والانكسار ، ولم يسعه صلوات الله عليه إلا أن يقول لصاحب هذا الرأى : نعم ما رأيت ! .

وهكذا كان يبادلهم المشورة ، ويظهر من التبسط معهم ، وخفض الجناح لهم ، ما يدل على أن شأنه شأن الأب الحانى على ولده ، والراعى الشفيق برعيته ، وصدق الله العظيم « حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

مكتبتنا العربية

والأمر الحتم من الكتاب العزيز أن نطيعه وأن نطيع من بعده أولى الأمر منا ، والتصريح فى الآية الشريفة بأولى الأمر « منكم » دليل على أن قيام الحاكم فى الأمة يقود زمامها ، ويتحمل أعباءها ، ويرد عدوان القـــوى ، وظلم المتعسف ، وطمع الجائر ، من الواجب على أهل الرشد ، وأصحاب الحصافة .

ولذلك لم يلبث المسلمون أن انتخبوا أبا بكر رضى الله عنه ، ووسدوا إليه زمام السلطان بعد أن ارتفع الصادق الأمين إلى الرفيق الأعلى ، وهنالك قضى على الفتنة ، وحارب المرتدين ، ونشر ألوية الأمن ، وجاء فى إثره عمر بن الخطاب فنهج نهجه ، واهتدى بسيرته ، وتتابع الخلفاء والولاة بعدهما ، ونظموا الملك ، ودونوا الدواوين ، ووزعوا الاختصاصات بين الموظفين ، فقام كل منهم بما عهد إليه ، وانصرف إلى مصلحة الرعية فى حدود استطاعته .

فوجود الحاكم للشعب ، وتملكه مقاليد الأمور فى الأمة فضلا عن كونه من ضرورات العمران ، وحاجة الاستقرار ، ولوازم النظام السياسية يوجبه الدين لأنه يهتم بالإصلاح ويعنى بالسكينة ، ويرعى الحقوق ، ويكره النزاع والخصومة ، ويرغب إلى الناس أن يلتزموا حدودهم ، وينصرفوا إلى البر والمعروف ، والعمران والتقدم ، وهذه أشياء لا تتم من غير راع يكلؤها ، وسلطان يحرسها ، وقوة حازمة تصونها ، وعقل كبير يدبر شؤونها ، ويصرف أمورها . ولا بد أن يكون من هؤلاء الذين يحبون العدل ، ويؤثرون الإنصاف ، ويميلون إلى إيصال الحقوق إلى أربابها ، وأن يعطى من سيرته وسلوكه ، وأخلاقه وآدابه ، وزهده وورعه ، وتدينه وتقواه ، ورأيه وكياسته ، وعلمه وفضله ، واعتدال ميزانه فى تقدير الأشياء وحل المشاكل ؛ وفهم المعضلات ، ما يجعل الناس يلتفون حوله ، ويبالغون فى الولاء له ، والتمسك به ، والعطف عليه ، ليعيش فى دنيا من قلوبهم ، وملك من أفئدتهم ، ويؤازروه فى المحن ، ويواسوه فى الشدائد .

وكذلك كان المسلمون مع الملوك والرؤساء فى مختلف العصور والأزمنة ، يجعلون طاعتهم من الدين ، والرضا بأحكامهم من أوجب الواجبات . غير أنه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » كما يقول صاحب الشريعة المطهرة هدانا الله بهديه .

ولذلك رسم القرآن الدستور الذى يحكمون به ، والقانون الذى يسيرون على ضوئه ، ويعملون بمقتضاه « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ومن أجل ذلك كانوا يلاحظونه ، ويتبعون هديه ، ويسترشدون به فى كل عمل يعملونه ، أو أمر يقدمون

مكتبتنا العربية

عليه ، بل كانوا أسبق من العامة إلى الاختلاف إلى المساجد ، وحضور الجماعات ، وقد حدث - فى الاندلس - أن شغل الخليفة الناصر عنه بنائه مدينة الزهراء ففاتته صلاة الجمعة ، ثم انتهى إليه أن الإمام المنذر بن سعيد خطب على المنبر وجاء فى خطبته الاستشهاد بقوله تعالى « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، فلما بلغته الخطبة علم أنه المقصود فبكى واستغفر ولم ينقطع عن الجمعة والجماعات إلى أن مات .

وليست ولاية المسلمين ، وتملك زمام أمورهم بالشيء الهين عند الله سبحانه ، لأنه تكليف قبل أن يكون تشريفا ، ولا يدرك معنى هذا التكليف إلا من يتصور موقف « الخليفة الثانى » فى السياسة والحكم ، والسلطان والرعاية ، والعناية والإصلاح . . وكيف أنه كان يبذل جهده وتفكيره ، وراحته ونومه ، ليوفر السعادة للأمة ، والرخاء للناس ، والطمأنينة للشعب ، غير مدخر من وقته وعافيته ، ورأيه وتدبيره ، بما يسمح لنقد الناقد ، ولوم اللائم .

ومع ذلك قال عند موته لمن أشار عليه أن يجعل الخلافة بعده لابنه عبد الله : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحداً منهم عن هذه الأمة يوم القيامة ! . وما أظن وراء هذا كله من العدل والإنصاف ، والسهر على المصلحة ، والتفانى فى خير الناس ، والدأب على إرضاء مطالبهم ، وإشباع رغباتهم ، وتوفير الأمن والسلامة لهم ، غير أنه الورع والتقوى والمبالغة فى مراقبة العزيز الجبار الذى لا يأمن مكره إلا الكافر ، ولا ينسى رهبة عذابه إلا الجاحد . . .

ولعل المتتبع لسيرة هذا الرجل — بالذات — يعرف إلى أى مدى كان يرسم بتاريخه السياسة والملك ، والحكومة والسلطان ، والتدبير والرأى ، حتى لا تجعل الولاة والقضاة ، والأمراء والخلفاء ، تلك المراكز سبيلا إلى المغانم السافلة ، والمطامع الدنيئة ، والشهوات المرذولة . . . لأنهم مسئولون أمام الله عن الفقر الذى يصيب المعوزين ، والمرض الذى تعمل معاوله فى أجسام المرضى ، والجهل الذى ينشر الجرائم ، ويشيع الفساد ، ويغرى بالفوضى . . والواحد منهم مؤاخـــذ يوم العرض على رب العالمين بحساب هو من أشق ما يكون ، « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

ابراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الفرض العلمى

— ١ —

إذا تأملنا فى تاريخ الحركة الفكرية ، وعلى الأخص فى القرون الحديثة ، نجد أن لكل قرن - على وجه التقريب - ميزة خاصة به تميزه عما عداه من القرون . فإذا أمكن القول بأن القرن السابع عشر هو قرن التكوين العلمى الصحيح فى الغرب ، إذ كان للعقل فى حركاته العلمية نصيب كبير ؛ يمكن القول إن القرن الثامن عشر - على العكس من ذلك - يقيد ، بقدر غير قليل ، حرية العقل من الميدان العلمى .

ولقد كان للفرض العلمى نصيب كبير فى نظريات المنهج والمنطق فى القرن السابع عشر ، بعكس ما كان له من قيمة محدودة فى القرن الثامن عشر ، فلم يكن يرجع إليه إلا فى أحوال اضطرارية . وسنستعرض هنا آراء عالمين مبرزين هما ديكارت فى القرن السابع عشر ونيوتن فى القرن الثامن عشر ، ثم نذكر حالة الفرض العلمى فى القرن التاسع عشر ، عسى أن نفلح فى إعطاء القارئ فكرة عن الفرض.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تعطى الفلسفة الديكارتيه للعقل كامل الحرية فى البحث والاستنتاج فى ميدان ما وراء الطبيعة ، وهى حين تعرج إلى البحث فى مجال الطبيعة لا تضعف هذه الحرية وإن حددت اتجاهاتها ومرماها . وأبو الفلسفة الحديثة يؤمن - بصفة عامة - بنوع واحد من الفروض هى الفروض الاستنتاجية ، فإن المتأمل للجزء السادس من كتابه « مقال عن المنهج [1] » ، يرى أنه بعد أن أوضح قوانين الحركة وطبيعتها التى تكون من الامتداد المتجانس أجزاء العالم المختلفة ، رأى أنه بين الحركات العامة الآلية أو الميكانيكية الخاصة بالاجسام المختلفة توجد مرحلة لا يمكن للاستدلال العقلى المحض أن يجتازها ، فلا بد من إجراء تجاريب مختلفة للتيقن من أن تطبيقاً معيناً لقانون عام ألزم أو أنجع من تطبيق غيره . ولكن العقل قبل أن يصل إلى هذه المرحلة التجريبية يفرض التطبيقات الممكنة نظريا للمبادئ العامة

(١) نقله إلى العربية الأستاذ محمود الخضيرى ، ونشرته المطبعة السلفية .

مكتبتنا العربية

ويختار بينها قبل أن يحاول تحقيق إحداها ، هـذا الفرض الأول فرض استنتاجى لأن الظواهر تستنتج منه . هذا ملخص رأى ديكارت فى « المقال عن المنهج » ، يصعب على القارئ أن يستخلص منه رأى ديكارت الحقيقى فى الفرض ، فمن الجائز أن يكون قد اعتبره فى الطريق إلى القانون العلمى ، ومن الجائز ألا يُعتبر قانون علمى بأى معنى من المعانى .

غير أننا إذا قلبنا كتابا آخرا من كتبه ويسمى « مبادئ الفلسفة » ، وجدناه يقول « إن المعرفة الفرضية لعلل الطبيعة كافية كما لو كانت هناك معرفة صحيحة بهـذه العلل ، إذ أن الطب والميكانيكا وغيرهما من الفنون التى تستخدم قوانين الطبيعة لا تعمل إلا على تطبيق بعض أجسام محسوسة على البعض الآخر ، ونصل من هذا إلى نتائج محسوسة أيضاً ، ثم يستطرد قائلا « وهو ما سنفعله لو درسنا ما ينتج عن علل تخيلناها ، ولو أنها خاطئة ، كما لو كانت صحيحة ، وذلك لأن النتائج تتشابه لو نظرنا إلى الآثار الحسية » . وموقف ديكارت هنا ، موقف من تأكد من قوانين الحركة بأنها قوانين مطلقة للعالم ، ولكنه حين انتقل من المجال العام إلى المجال الخاص لم يرجع للتجربة فقط بل إلى القول إن الطريقة التى تسير عليها الطبيعة لا يمكن معرفتها ، إذ لا يمكن معرفة أى طريقة اختارها الله فى هـذا المجال .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذا هو رأى ديكارت فى الفرض .

أما نيوتن فإنه يبدو لأول وهلة معارضاً لتلك الحرية الفكرية التى نادى بها ديكارت والفروض على اختلاف أشكالها ، فهو يقول « الفروض لا تخترع » .

وعلى كلٍّ فليس عنده ما يدعو إلى الإيمان بضرورة الفروض أو إلى الاقتناع بموقف فرضى لا يتحول إلى قانون طبيعى . وموقفه هذا ناتج عن طريقته فى الكشف عن التفسير الصحيح للطبيعة وخاصة فى الكشف عن مبدأ الجاذبية العام . فهو بعد أن تأمل حركة التفاحة الساقطة ولخصها بعقله ، انتقل من هـذه الظاهرة الخاصة إلى ظاهرة الجاذبية ، وفرض أن هذه الجاذبية تشابه تماما حركة القمر بالنسبة إلى الأرض ، وأنه فى اللحظة التى يصل فيها العقل إلى القانون الحسابى الجبرى لهذه الجاذبية فانه يكون قد اقترب جدا من كشف قانون عام فى الطبيعة له على الأقل عمومية قوانين ديكارت . فنيوتن يفرض أن الأجسام يجذب بعضها بعضا كما تجذب الأرض القمر ، ثم يتوصل - بعـد تحليل تجريبى ورياضى كامل

مكتبتنا العربية

لظواهر النظام الشمسى ـ إلى أن القانون الحسابى المذكور يسمح بتفسير كل حركات أجسام هذا النظام ، وفى هذه اللحظة ، أى بعد التحليل ، يصبح الفرض قانونا طبيعيا صحيحا .

ولكن من الواجب أن نعرف أن نيوتن يتجه فى بحثه نحـــو القانون الطبيعى لثقته الكاملة فى الآلة الرياضية التى يستخدمها وهى آلة حساب اللانهائيات ، ولثقته التامة فى الآلات التى يعرف بها الطبيعة الظاهرة ويستنتج الخفية ، وأن الفرض الذى دعمته التجارب المختلفة وعبرت عنه العمليات الرياضية الدقيقه لم يعد فرضا بل أصبح قانون الله للطبيعة فهو إذن لا يحذف الفروض الاستنتاجية من العلم بل يقبلها ، بشرط أن تقترب من الظواهر المختلفة للطبيعة ، وبشرط ألا يكون للفرض وجود فى ذهن عالم الطبيعة لأنه لا يفرض بل يثبت ويبرهن فقط .

ولقد بدا أثر نيوتن فيمن جاء بعده ، فأوغست كونت (فى أوائل القرن التاسع عشر) يفتقد الحركة الفرضيـة للعقل ولا يسلم إلا بما تقرره الملاحظة والتجربة ... ولكن من ناحية أخرى نرى جون هرتشل Herschel يحث العلماء على ألا يوقفوا فروضهم على عتبة الباب بل يتجاوزوا ذلك ويذهبوا إلى تفسير داخليـة الأجسام وتركيبها العنصرى . وهذا لازم فى رأيه ، فهناك من الظواهر ما هو خفى على الحس ، ولا يمكن تفسيره ما لم نحاول أن نخمن ما وراء الحس ، فالفرض التخمينى متضمن فى حركة العقل الاستقرائية ، فالبحث عن عناصر الأجسام وعن مكوناتها موجـه إلى التكوين الداخلى للمادة عامة لا إلى طائفة خاصة من الأجسام .

(٢) وبعد ، فـما هى الفروض ؟ الفرض من ناحية ماهيته هو الفكرة التى يرى المرء قبل دخوله فى مشكلة عقلية أنها ما يحتمل أن تكون هى الحل أو النتيجة ، أو هو الشىء الذى نفكر فيه ونظن أنه الحل الذى يصح أن يكون ، فنعمل على تحقيقه بإثبات صحته أو بطلانه ، وفرض الفروض ـ كما يقول العلامة ميل ـ يبعث على الملاحظة وعمل التجارب وهو شىء ضرورى فى تقدم العلوم ، بل يمكن القول إنه ما من مسألة عقلية أو مشكلة علمية إلا ولهـا نصيب من الفرض .

وهناك مفهومات مختلفة لكلمة الفرض : فهناك الفرض الرياضى . ونجده عند اقليدس منذ القدم ، وقد استعمله أفلاطون فى محاورته Menon ، وفيها يقول (عند ما رأى نفسه

مكتبتنا العربية

أمام مسألة عويصة من مسائل الهندسة ، لم يستطع حلها بطريق الاستنتاج المباشر) : « لنرجع إلى فرض ، أو لنبحث فرضيا هذه المسألة » . ويعرف أرسطو الفروض بأنها « المبادىء التى تبنى عليها قضية ما » . فلو حاولنا مثلا أن نبرهن على تساوى زوايا المثلث المتساوى الأضلاع رجعنا - حتما - فى برهاننا إلى تساوى الأضلاع كشىء مفروض مقبول نحاول أن نتجه منه إلى شىء مطلوب ... فهناك إذن معنيان رياضيان للفرض : فرض بمعنى قضية صحيحة هى مبدأ البرهان ، وفرض بمعنى قضية لم نقطع بصحتها بل نسلم بها مؤقتاً دون برهان ثم نحاول باستخلاص نتائجها البرهنة على صحتها .

وهناك أيضاً الفروض الطبيعية ، وهى إما استنتاجية وإما تكوينية ، فالاستنتاجية هى التى إذا سلمنا بها ، سلمنا كذلك وبمقتضاها ، بالظواهر المشاهدة فى مجال معين ، والفروض الاستنتاجية إما أن تكون فروضاً لا يجزم بصحتها ولا بخطئها وهى موجوده عند ديكارت فى الكتاب الثالث من مبادىء الفلسفة فهو يقول « لكى يدرك كل شخص أنه حر فى أن يقرر ما يشاء بصدد ما كتبته ، أرجو أن يعتبر ما كتب كمجرد فرض ، ربما كان بعيداً كل البعد عن الحقيقه » .

ويزيد على ذلك فيقول « وإنى سأضع بعض فروض أعتقد أنها كاذبة ولكن كذبها لم يمنع من أن تكون نتائجها صادقة » ، وإما أن تكون فروضاً موجزة أو ملخصة وتوجد عند إرنست ماخ ودوهيم ، والفرض هنا عبارة عن تلخيص الظواهر الملاحظة ملاحظة جيدة ، كما أن وظيفة النظرية العلمية منحصرة فى إيجاز القوانين المسلم بها فى العلم وجمعها فى عبارة بسيطة ، وإما أن تكون فروضاً مفسرة وهى التى توجد عند نيوتن ، وهى فروض توضع لكى تصبح قانونا علميا .

أما النوع الثانى من الفروض الطبيعية فهى الظروف التكوينية وهى التى تبحث فى الأشياء وفى حقيقة الظواهر الداخلية .

(٣) بقى أن نتكلم عن شروط الفرض ، فليس كل مايفترضه الإنسان بالفرض المقبول ، وليس كل تخمين برأى سديد ، فلابد لكى يكون الفرض علمياً يصح قبوله واستخدامه كوسيلة من وسائل التفكير ، ألا يكون خيالياً يستحيل تحقيقه ، وألا يتعارض مع الحقائق العلمية المسلم بصحتها ، وأن يكون قضية قابلة للبرهنة على صحتها أو فسادها وإلا تركنا الحبل على

مكتبتنا العربية

الغارب للتخمينات والظنون ، كما يجب ألا يتأثر الباحث فى فرضه برأى أو نظرية مرجحة لم تصل بعد إلى مرتبة القوانين ، وألا يكون متحيزاً لآراء تصدر عن أشخاص ممتازين ، فقول العلامة أديسون عن الأرواح « لو أن هناك أرواحا تخاطب لكنت أول من يخترع آلة لمخاطبتها » . هذا القول لا يصح اتخاذه أساساً للبحث فى عالم الأرواح ولو أنه صادر عن عالم كبير .

ولكن ، يجب التمييز بين الاعتقاد العلمى الصحيح الذى وصل إليه الفكر البشرى بعد البحث والتفكير المنطق قرونا عديدة حتى أصبح حقيقة لا تقبل الجدل ، كالاعتقاد فى كروية الأرض مثلا وغير ذلك من الحقائق التى يصح اتخاذها أساساً لفروض تفرض لحل مشكلات علمية ، وبين المعتقدات التى نشأت عن أساطير أولية تداولها الناس جيلا بعد جيل حتى أصبحت عند العامة فقط حقائق لا تقبل الشك .

وبعد ، فهذه آراء فى تاريخ الفرض وماهيته وشرطه . وفى المقال القادم إن شاء الله سنتكلم عن تحقيقه ومراحل هذا التحقيق .

سعيد زايد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الحياء

قال الهادى الأعظم ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت » .

وقال علقمة بن علاثة للنبى ﷺ : يا رسول الله عظنى . فقال له ﷺ « استحى من الله استحياءك من ذوى الهيبة من قومك » .

مكتبتنا العربية

فضل الرسول على قومه

متى نعود إلى وضعنا فى التاريخ ؟

« إن العرب دخلوا التاريخ من الإسلام » .

كلمة سديدة رشيدة ، لم يقلها مسلم أو عربى ، ولكن قالها منصف غربى :

كلمة لا يسع المفكر إلا أن يتحسس معانيها فى نفسه . وأن يدير مغزاها على نواحى حسه ، كلما أراد أن يستشعر فضل محمد ﷺ على العرب وفضل الإسلام على المسلمين .

حقا إن الإسلام كان هو الطريق الذى دلف منه العرب إلى التاريخ ، فتبوءوا أولى صفحاته واحتلوا مسرح الوجود قرونا ، فئلوا فوقه الأدوار الأولى ، وتزعموا القافلة البشرية فقادوها من زمامها فى رفق ولين إلى معارج الرقى والتقدم والمعانى المثالية الرفيعة .

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية . ولم يكن لهم فى التاريخ العالمى شأن يذكر . طوقتهم الجغرافية بدول كبرى جبارة كالفرس والرومان والأحباش . دعتهم هذه الدول ذات البطش والجبروت تارة برعاة الإبل ومرة بالحفاة العراة . . فما هو إلا أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين الحنيف فأخذ يروضهم عليه ، ويعلمهم بتعاليمه السامية ، ويحتفر لهذا الغيث الإلهى مجاريه ومساربه فى أعماق هذه النفوس المتأبية ليبذر فيها البذرة الأولى لكلمة طيبة ، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » . أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وحث على الوحدة فى جميع أشكالها وصورها ، وحذر من الفرقة ومن كل ما يقرب إليها من قول أو عمل . ودعا إلى توحيد الكلمة كما دعا إلى كلمة التوحيد تماما . وأبرز الفضائل النفسية والفكرية والعملية صورة مجلوة واضحة فى إطار من البلاغة القرآنية التى أخذت بمجامع القلوب أخذا . وسدت على المعاندين منافذ القول سداً . أنذر وبشر ورغب وأرهب . واستعمل من وسائل الإقناع والتربية ما دلت العلوم النفسية والتربوية الحديثة على أنه كان ضرباً من ضروب الإعجاز « هو الذى بعث فى الأميين

مكتبتنا العربية

فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، فماذا بقى بعد وفاة الرسول من نصر ومن أمر ؟ بقى شيء كثير ، فلم تكن رسالة الإسلام موضوعية ودستوره ينادى « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً [١] » ، ولم يكن لأصحاب النبي وورثته الذين رباهم تربية إسلامية سليمة أن يتركوا الجهاد ليتركوا أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، ويتحينون الفرص للانقضاض عليه واقتلاع جذوره من شبه الجزيرة ، فلم يكن بد من أن تندفع خيل الله كالسيل الجارف من شبه الجزيرة إلى ما والاها فتدك بسنابكها القوية عروش القياصرة والأكاسرة فيمتد ظل الإسلام من الصين شرقا إلى الأندلس غربا بسرعة لم يعهد لها نظير فى التاريخ ، ويتوطد للإسلام ملكه وجلاله فى عهد الدولة الأموية ، ثم تتوطد حضارته وتزدهر فى عهد الدولة العباسية ، ويحدث الإسلام باسم العرب والمسلمين مدينة خدمت العلم والثقافة والفقه والقانون والفلسفة والطب والفلك والموسيقى والطبيعة والكيمياء ، ودفعت الإنسانية بكلتا يديها إلى الأمام أشواطاً ، وكان منها القبس الذى قبسته أوربا فى العصور الوسطى فكان أساساً لنهضتها هاته التى تدل بها اليوم على الإسلام ناسية أنها منه مأخوذة وأنها كانت عليه فى يوم من الأيام تلميذة . وهكذا تفاعلت مبادىء الإسلام وتعاليمه بما طبعت عليه النفسية العربية من خصائص ومزايا فأحدث هذا التفاعل تلك العجائب . وهكذا أثبت العرب بالإسلام وجودهم ، وكان منهم الخليفة الذى يتحدى السحاب أن ينزل فى أرض لا يجبى إليه خراجها ، والقائد الذى تقول له الشعراء :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق

وصدق الله وهو يقول لنبيه عن القرآن والإسلام « وإنه لذكر لك ولقومك[٢] . . »

* * *

ترى هل خرجت الأمة العربية الإسلامية اليوم من التاريخ ، فهى على هامشه بعد أن كانت فى صلبه ؟ !

كانت هى الوسط المحمى فانتقضت منها الحوادث حتى أصبحت طرفا

فليس للعرب اليوم بين أمم الأرض خطر : يحكمون ولا يحكمون ، ويساسون

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

مكتبتنا العربية

رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين [١] » .

استجاب لله وللرسول من استجاب . وآمن بهذا الدين من آمن . من أهل الحق والخير الذين استنار الإسلام بجماله وجلاله ما كان كامنا فى نفوسهم من حمية للحق والخير والجمال . تبطنوا الإسلام قبل أن يلتحفوه ، بحبه خفقت قلوبهم لتدفع الدماء إلى عروقها نابضة بحرارة الإيمان وحرارة الحياة معا فبدمائهم وأعصابهم ومشاعرهم امتزج الإسلام فكانوا الشراة الذين باعوا أنفسهم لله . اعتنقوه دينا ودولة . مصحفاً وسيفا . عقيدة وجهادا . رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » [٢] عز جانبهم بالإسلام ، وعز بهم جانب الإسلام ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحملون على الرجس والأوثان حملة تستحيل بها الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول إسلامية خالصة بيضاء واضحة ليلها كنهارها وينفض الرسول يده من ثلثمائة وستين صنما كانت حول الكعبة يحطمها وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

لم ينس ﷺ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى أن يخط بكفه الشريفة الخطوط الأولى فى خريطة الامبراطورية العربية الإسلامية التى صيرتها فيما بعد أكف المقادير حقيقة واقعة تسامت الخلود . وتتحدى الزمن وتفرض نفسها على التاريخ فرضا . فكتب كتبه التاريخية المشهورة إلى هرقل والمقوقس وكسرى والنجاشى وغيرهم يدعوهم بدعاية الإسلام ليسلموا ، فإن تولوا فعليهم إثم غيرهم ، ثم قال - وكأنه يزيد هذه الخريطة إيضاحا - « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

فإذا كان النصر فى حياة النبى قد تم للإسلام والمسلمين فى داخل الجزيرة العربية ونزل على الرسول قوله تعالى « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا

---

(١) الآية . من سورة الجمعة وقريب منها الآية ١٦٤ من سورة آل عمران « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا الآية » .

(٢) الآية ١١١ من سورة التوبة

مكتبتنا العربية

ولا يسوسون ا كثرة فى العدد وقلة فى العدد، تصدق فيهم نبوءة نبيهم حين قال « ستتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها » فقال قائل : أمن قلة يا رسول الله ؟ قال : « كلا ، أنتم يومئذ كثرة ، ولكنها كغثاء السيل ، وليـنزعن الله مهابتكم من صدور أعدائكم ، وليلقين فى قلوبكم الوهن » ، قالوا : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » .

فإذا كان ذلك صحيحاً فمن أى طريق خرج العرب من التاريخ ؟ إنهم خرجوا من نفس الطريق الذى دخلوا منه : الإسلام . فالإسلام قوة وعزة ، ونحن فى ضعف وذلة . الإسلام وحدة ووفاق ، ونحن فى فرقة وحزبية عمياء . الإسلام نظام ، ونحن فى فوضى ضاربة الأطناب . الإسلام عمل وجهاد ، ونحن فى نوم وكسل . الإسلام « إيثار » جميل ، ونحن فى « أثرة » مقيتة . الإسلام علم ومعرفة ، ونحن فى جهل وأمية . أعرضنا عما أنزل الله ، فأعرض الله عنا ، وصدقت فينا آيته « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى[1] .

عبد الغنى عوضه الراجحى

بعض الجرائد

جرائد ما خط حرف بها ... لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لأربابها ... كأنها أول إبريل

حافظ إبراهيم

---

(١) سورة طه الآية ١٢٤ .

مكتبتنا العربية

أسرار الإسلام

فى تعـــــــدد الزوجات

تقوم فى هذه الأيام حملة شعواء على أحكام الإسلام بحجة الانتصاف للمرأة والانتصار لها . ويقود هذه الحملة قوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا يدركون منه إلا رسمه .

ولقد تمادى هؤلاء القوم فى عدوانهم ، ولجوا فى طغيانهم ، حتى جرءوا المرأة على منازلة الرجل فى ميادين الجدل من غير استحياء ، ومهاجمة الشرع فى شتى المواقف من غير خجل ، وهى التى كانت عن كثب تهاب الرجل وتخشاه ، وتحفظ الشرع وترعاه .

ومن تلك الأحكام التى صارت غرضاً لسهام الغاوين ، وأضحت مقصدا لمرماها ، حكم تعدد الزوجات فى الدين الإسلامى .

فلقد طالعت علينا بعض الصحف اليومية ذات مساء تنشر آراء طائشة ، وأفكاراً ضالة تدعو إلى وجوب تقييد الرجل بزوجة واحدة تمشياً مع حضارة العصر فى نظرهم ، وتتهجم على آيات الكتاب وسنة الرسول ، فتؤولها تأويلا يمليه الهوى ، ويدبجه يراع الإلحاد ، وينشره دعاة السوء .

ولقد رأيت من واجبى - إزاء هذه الحملة - أن أبين حكمة هذا التشريع على صفحات هذه المجلة الغراء ، عسى أن يرد الله بها النفوس السادرة ، ويرشد بها العقول الغاوية ، ويهدى بها الأفكار الحائرة . فأقول :

ثبت بداهة أن كل أمة يزيد عددها ، يرتفع - فى الغالب - مجدها ، ويسطع فى سماء العز نجمها ، ويرهب لدى الأمم جانبها ، وتسعد فى حاضرها ومستقبلها .

وبعكس هذا أمة أصيبت بالعقم الجنسى ، فإن نجمها يأفل ، ومجدها يبيد ، وشأنها يهون وظلها يتقلص حتى تمحى من قائمة الوجود .

وإن أنجح الوسائل إلى نمو الأمم وكثرتها كثرة تورثها القوة والعز ، وتكسبها الشرف والمجد ، هو - بلا شك - تعدد الزوجات الذى أباحه القرآن ، وأرشد إلى سره نبى الإسلام حيث قال : « تناكحوا تناسلوا تكثروا » .

مكتبتنا العربية

ومن أسرار ذلك التشريع : أن الله سبحانه وتعالى قد أجرى سنته أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، لما يقوم به الرجال من مهام الأمور : كتدبير أمور الدول وصيانتها ، وتنظيم الجيوش وإعدادها ، ومواجهة الأخطار وصدها ، وإخماد الفتن وقمعها ، وغير ذلك من شئون الحياة التى لا يستطيعها غير الرجال ، والتى تسبب لهم الوهن والضعف ، وتسلم أجسادهم فى النهاية إلى الردى والفناء .

فلو أنه حظر على الرجال تعدد النساء فى هذه الأحوال ، وهن محتاجات إلى الأزواج فى ضرورة الكفالة والتحصين ، لكانت فتنة فى الأرض وفساد كبير .

ومن أسرار ذلك التشريع : أن المرأة غير مستعدة ، للنسل فى كل آن ، لأنها عرضة للمرض والضعف ، والكبر واليأس ، والعقم وفقد أسباب النسل .

فلو منع تعدد الزوجات لظل الرجل محروما من الولد ، معذباً بلظى الشوق اليه ، أو وقعت الزوجة فى أضرار الفراق . وما ذلك شأن العدل ولا شرعة الإنصاف .

ومن تلك الأسرار : أن بعض الرجال تغلب الشهوة على طباعهم إلى حد لا يصبرون معه على ملامسة النساء ، وقد تكون الزوجة مريضة ، أو غائبة ، أو حائضاً ، أو نفساء .

فلو منع تعدد الزوجات لوقع الرجل الذى هذا حاله فى الفاحشة وساء سبيله ؟ .

ومن الأسرار المهمة : أن صاحب الزوجة الواحدة إذا كان يبغضها لدمامتها أو بذاءتها ، وألزمناه بها دون سواها ، فإن العشرة تسوء بينهما ، والهدوء ينقلب إلى ضده ، ويصير البيت جحيما لا راحة فيه .

ولا علاج لمثل هذه الحالة إلا إباحة التعدد الذى يصون الحقوق والنفوس ، ويحقق الصفاء والهدوء .

مما تقدم يتضح ما فى إباحة التعدد من حكم سامية ، وفوائد هامة ، يتوقف عليها نظام الحياة ، وتقتضيها ضروريات الوجود .

وقد أدرك بعض الأوربيين تلك الأسرار وغيرها فى هذا التشريع الجليل ، فنصبوا من أنفسهم دعاة لتعميمه حتى إن الكاتب الإنكليزى الكبير (برناردشو) قال فى كتابه الحياة الزوجية عند الكلام على تعدد الزوجات فى الدين الإسلامى :

« إن الدولة الإنكليزية تضطر حسب تقدمها المطرد إلى اتخاذ الإسلام ديناً لها قبل انقضاء القرن العشرين » .

مكتبتنا العربية

وجاء فى جريدة (لندن تروث) الإنكليزية بقلم بعض الكاتبات الإنكليزيات ما ترجمته:

« لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة أرانى أنظر إلى هاتيك البنات وقلبى يتقطع شفقة عليهن. وماذا عسى أن يفيدهن بثى وحزنى، وتوجعى وتفجعى وإن شاركنى فيه الناس جميعا، لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع تلك الحالة الرجسة. ولله در نبى الإسلام، فإنه رأى الداء ووصف الدواء الكامل للشفاء، وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا بنات بيوت، فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة.

أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة على المجتمع الإنسانى؟! فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون.

وإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار، ألم تروا أن حال خلقها تنادى بأن عليها ما ليس على الرجل، وعليه ما ليس عليها، وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت، وأم أولاد شرعيين.

هذا هو رأى غير المسلمين فى بعض أحكام الإسلام، أما أبناؤه فإنهم يدأبون على التقليل من شأنه، والعمل على محاربة أحكامه بكل ما ملكوا من وسائل وأسباب.

وإن من المطاعن التى وجهوها إلى إباحه تعدد الزوجات فى الإسلام قول بعضهم: إن الرجل الذى يجمع بين زوجتين يعتبر فى نظر المجتمع آثما، لأنه يخلق العداوة بين أبنائه، والبغضاء بين نسائه».

وأقول: إن ما يشاهد من هذه العداوة والبغضاء لم يكن مصدره تعدد الزوجات، بل منشؤه جور الرجل على زوجاته، وعدم عدله بين أولاده. ومن كان هذا شأنه لا يبيح له الإسلام من هذا التعدد شيئا.

ويجدر بنا بعد هذا أن نذكر الدليل على جواز التعدد من كتاب الله تعالى فنقول: الدليل عليه قوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا».

مكتبتنا العربية

نزلت هذه الآية قاضية بجواز الجمع بين الأربع من النساء ، وقد بين النبي ﷺ المراد منها حيث قال لغيلان الصحابي الذي أسلم وتحته خمس نسوة : « أمسك عليك أربعا وفارق واحدة » .

فدل كلام المصطفى ﷺ على أن معنى الآية . « فانكحوا مثنى ، أو ثلاثا ، أو رباعا » على التخيير لا التحتيم .

وإن الله سبحانه وتعالى قد أباح الجمع بين النساء ، ولكنه لم يطلق القول بإباحته ، بل حظره على من خاف من نفسه عدم العدل بينهن ، وأمره بالاقتصار على واحدة ، مبيحاً له أن يمسك ما شاء من الإماء المملوكات . فقال جل وعلا « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » .

ولما كان تمام العدل بين النساء لا يمكن لبشر أن يحققه ، وكان اشتراطه منافياً لسماحة الدين ، لما فيه من شدة الحرج ، تجاوز لنا سبحانه وتعالى عن بعض الأمور كالمحبة القلبية وسائر ما لا يدخل تحت الاختيار ، وحتم علينا العدل في بعضها ، كالمبيت والإنفاق والسكنى ، وسائر ما يدخل تحت الاختيار . فقال جل وعلا : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

أي محال أن تقدروا على تمام العدل بين الزوجات بحيث لا يقع جور ما ، ولو حرصتم على إقامة العدل وبالغتم فيه ، فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور ، فتذروها كالمعلقة التي ليست بذات بعل ولا مطلقة .

وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل فيما يدخل تحت الاختيار ، ثم يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » يعني فرط محبته لعائشة .

وبعد فهذه هي أسرار التشريع الإسلامي في إباحة تعدد الزوجات نضرب بها في وجوه الملاحدة الذين يحاولون النيل من سماحة هذا الدين ، والحط من شأنه .

وقد فاتهم أن الإسلام كالطود الشامخ لا تزلزله العواصف ، ولا تؤثر فيه النوازل .

كيف وقد أنزله الحكيم العليم ، ودعمه الرسول الأمين ؟ ! .

عبد الرحيم فرغل البلتاجي
أستاذ بكلية الشريعة

التشريع الاسلامى

فى دراسات أعلام الغربيين وقرارات مؤتمراتهم

يقول الدكتور أريكو أنسابانو فى كتابه (الإسلام وسياسة الخلفاء) :

إذا كان الإسلام فى شكله ثابتاً لا يتغير ، فإنه - مع ذلك - يساير مقتضى الظروف ويستطيع أن يتطور معها دون أن يتضاءل مهما مرت عليه الأزمان ، فهو لذلك محتفظ بحيويته وبمرونته ، ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية ، ولا أن يغفل شأنه ، أو أن تمسه يد بسوء . إنه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً ، وانها لشريعة تفوق الشرائع الأوربية فى كثير من التفاصيل .

****

والقانونى الإيطالى (بيولا كازيلى) الذى كان مستشارا ملكياً لوزارة العدل ورئيساً للجنة قضايا الحكومة زمناً طويلا هو القائل :

« يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية ، فهى أكثر من غيرها اتفاقاً مع روح البلد القانونية »

****

وفى سنة ١٩٣٢ قرر المؤتمر الدولى المنعقد فى لاهاى للقانون المقارن أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن ، وبهذا صارت مصادر القانون المقارن أربعة وهى : القوانين الفرنسية ، والقوانين الألمانية ، والقوانين الانجليزية ، والشريعة الإسلامية

****

وفى سنة ١٩٣٨ انعقد مرة أخرى المؤتمر الدولى للقانون المقارن وأعلن أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة بذاتها ليس لها صلة بالقانون الرومانى ولا بأى تشريع آخر .

****

وليس بين الغربيين العارفين بحقائق الشرق من لا يؤمن بكلمة جيبون الشهيرة : « القرآن مسلم به من حدود الأوقيانوس الاطلانطيكى إلى نهر الغانج بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فقط ، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التى عليها مدار حياة نظام النوع الإنسانى وترتيب شئونه » .

مكتبتنا العربية

الكتب

الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى

نشره المجمع العلمى العربى بدمشق بتحقيق الامير جعفر الحسنى جزءان فى ١٥٠٠ ص قالبين

العلماء هم الناس . ومن العناصر الاصلية فى تاريخ كل أمة معرفة حال علمائها ومستواهم الخلقى فى أداء رسالة العلم ، وكلما كثرت المراجع التى تنير طريق المؤرخ وتبين له عمل العاملين لإصلاح حال المجتمع من راع ورعية ، كان ما يسجله من حقائق التاريخ أعمق بحثا وأدسم مادة وأوضح بيانا لحقائق الاشياء ؛ لان تقدم الامم ونهوضها نتيجة لعوامل كثيرة من أهمها أمانة العلماء فى أداء رسالتهم لامتهم ، كما أن تقهقر الامم وانحطاطها نتيجة لعوامل أخرى من أهمها كفر العلماء برسالة العلم ، وجهلهم أقدار أنفسهم ، وقصور هممهم عن بلوغ ما أراده الله لهم من مرتبة وراثة النبوة .

وكتاب (الدارس فى تاريخ المدارس) لعبد القادر بن محمد النعيمى (٨٤٥ — ٩٢٧) أحد نواب القضاة الشافعية بدمشق من أمتع الكتب فى تاريخ معاهد العلم فى عاصمة الشام وتراجم علمائها فى نحو خمسة قرون (من القرن الخامس الهجرى إلى عصر المؤلف فى القرن العاشر) ، ويجوز لنا أن نعتبره متمماً لتاريخ الحافظ ابن عساكر الذى وصفنا المجلد الاول منه فى الجزء الماضى ، وقد جمع فيه النعيمى ما تشتت فى الكتب السابقة له عن تاريخ العلم ومعاهده وشيوخها ، ومن أهم مراجعه ابن الاثير وأبو شامة وابن خلكان وابن شداد والبرزالى والذهبى وابن الكتبى والصفدى والحسينى وابن كثير والحسبانى وابن قاضى شهبة وقد جاء فى مقدمة الكتاب ص ٣ بلسان تلميذ من تلاميذ المؤلف لم يصرح باسمه قوله : « فلما رأيت غالب أماكن الخير الموقوفة بدمشق الشام اندرست ... سنح لى أن أشرع

مكتبتنا العربية

بجمع تراجم تحيي لها ذكرا ... فاذا شيخنا الامام العالم المؤرخ المحقق المدقق محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي الشافعي قد سبقني إلى جمع ذلك ، ولكنها عنده في مسودتها إلى الآن ، فسألته في تبييضها على طول الزمان ، فتعلل على بضعف الحال وهم العيال ، ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجا على منواله ، فقابلت أمره بامتثاله ، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدريها الأعلام اعتماداً على الطبقات وتواريخ الإسلام » .

إذن فنحن في هذا الكتاب أمام كتاب هذبه أحد تلاميذ العليمي واختصره بعض الاختصار من كتاب شيخه ، والمخطوطات المتداولة من كتاب العليمي كلها من هذا المهذب أو المختصر ، أما أصل العليمي فلم يعثر عليه إلى الآن ، والذين قاموا باختصاره منهم شمس الدين محمد بن طولون وعبد الباسط العلموي وأحمد البقاعي وآخرهم الشيخ عبد القادر بدران المتوفى في القرن الرابع عشر الجاري ، وأغلب الظن أن الشمس ابن طولون هو صاحب هذا التهذيب أو الاختصار لأنه أقربهم من المؤلف .

ومعاهد العلم الدمشقية الموصوفة في هذا الكتاب نحو ثلاثمائة وخمسين بين مدرسة ومسجد وخانقاه وكلها مما كانت تدرس فيه العلوم ويتخرج فيه العلماء . وإن مدينة واحدة من مدن الاسلام يكون فيها مثل هذا العدد من معاهد العلم لبرهان على أن رسالة الاسلام رسالة علم ، ولا غرو فإن المسلمين يتوارثون عن نبيهم ﷺ ما رواه ابن قتيبة في غريب الحديث أن ساعة من العالم على فراشه يتفكر في علم الله تعالى أحب إلى الله من عبادة العابدين أربعين عاماً . وفي هذا قال الامام الشافعي رحمه الله : الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة .

وكان المجمع العلمي العربي بدمشق قد عهد قبل خمس عشرة سنة إلى ثلاثة من أعضائه بمعارضة نسخ هذا الكتاب وبيان اختلافها . ثم قام الأمير جعفر الحسني من أعضاء المجمع بتحقيق الكتاب والاشراف على طبعه فاستعان على ذلك بخمسة وثمانين مرجعاً بين مطبوع ومخطوط . وألحق به فهرسا بأسماء المؤلفات المذكورة في نص الكتاب ، وفهرسا للأمكنة والبقاع والمساجد والمدارس والمعاهد ، وفهرساً للأعلام من رجال ونساء وجماعات . وقد بلغ الكتاب بفهارسه ألفاً وخمسمائة صفحة من قطع صفحات هذه المجلة . وكما أنه

مكتبتنا العربية

مرجع من أوفى المراجع فى تاريخ العلم والعلماء فى إحدى عواصم الاسلام مدة خمسة قرون، فهو كذلك مرجع من أوفى المراجع فى الخطط وتاريخ العمران إلى العصر العثمانى الذى انحطت فيه الأمة وبلادها ودرست معالم العلم فيها على ما ذكره المؤلف .

فشكراً للمجمع العلمى العربى ورجاله على مساهمتهم فى نصيب كبير من مهمة البعث والإحياء العلمى مدفوعين إلى ذلك برغبة صادقة من خدمة العلم احتساباً لوجه الله ، ولذلك تأتى أعمالهم وعليها طابع التجويد والاخلاص .

أسماء جبال تهامة وسكانها

وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه

لعرام بن الاصبغ السلمى

نشره وجيها الحجاز الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف زينل

بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

لما كان حفاظ السنة وأئمتها يطوفون البلاد ليلقوا الشيوخ المسنين من رواة الحديث الأولين فيتلقوه عنهم ليدونوه ويحفظوه ، كان حفظة اللغة وأئمتها يقومون للغة القرآن بمثل هذه العناية فيتنقلون فى البادية ليلقوا علماء الأعراب فيحفظوا عنهم مفردات اللغة وشواهدها من الأشعار والأمثال ، وليتعرفوا منهم أسماء بقاع الجزيرة العربية من جبال وأودية ومنازل ومياه ، وأسماء ما فيها من نبات وشجر ، فيدونوا ذلك فى الكتب قبل أن يموت العلم بموت أهله .

ومن المراجع العريقة فى القدم للمواد الجغرافية فى الوطن العربى هذا الكتيب النفيس من علم عرام بن الاصبغ أحد علماء الأعراب من بنى سليم ، وهو كما يقول ابن النديم فى الفهرست أحد أقران أبى الهيثم الأعرابى وأبى المجيب الربعى وأبى الجراح العقيلى ، وكانت الأيام قد جمعت بهذا العالم الأعرابى عالما من أهل الحضر فى صدر القرن الهجرى الثالث ،

مكتبتنا العربية

وعو أبو الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك السكندى ، فتلقى العالم الحضرى عن العالم الأعرابى كل مافى هذا الكتيب من المعلومات ، وكان يستمليها منه فيمليها عليه ، ثم تلقاها عن أبى الأشعث السكندى تلميذه عبيد الله بن عمرو الأنصارى الوراق المعروف بابن أبى سعد (١٩٧ — ٢٧٤) وتلقاها عن ابن أبى سعد تلميذه عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى المتوفى سنة ٣٢٣ ، وأخذها عن عبيد الله السكرى تلميذه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى القاضى (٢٩٠ — ٣٦٨) .

وكتاب عرام السلمى كان المظنون أنه فقد مع مافقد من تراثنا القديم ، غير أن العلماء كانوا يتعزون عن ذلك بانتشار نصوصه فى معاجم البلدان ، ولا سيما كتاب معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى علامة الأندلس ، ثم ظهرت مخطوطة من هذا الأصل فى المكتبة السعيدية بحيدر أباد (مجموعة رقم ٢٥٥ حديث) كتبت سنة ٨٧٦ ، ولكنها بخط نسخى غامض ردىء وكثيرة التحريف والتصحيف ، ومخطوطة ثانية نقلت عنها بخط الشيخ ابراهيم حمدى مدير مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة فنسخ صورة منها الشيخ سليمان الصنيع من أفاضل المملكة العربية السعودية ، وقد عنى بمراجعتها وتحقيق بعض مواضع منها ، وكذلك وجد عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف مخطوطة ثالثة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى عن الأصل الهندى ، وأنت ترى أن الأصل فى هذه النسخ واحد وهو المحفوظ فى المكتبة السعيدية بحيدر أباد ، فعمد وجيها الحجاز وعينا أعيان أفاضلها الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف زينل إلى حضرة الفاضل المحقق الأستاذ محمد عبد السلام هارون بأن يحقق هذا الكتيب ويعنى برده إلى أصله بقدر الطاقة ، فقام بذلك خير قيام مستعيناً بمعاجم البلدان وكتب اللغة وغيرها ، فجاء فى ١١١ صفحة من قطع الجاير مزيناً بفهرس للبلدان والأماكن وآخر للأعلام ، وثالث للقبائل والطوائف ، ورابع للنبات والشجر ، وخامس للحيوان ، وسادس للقوافى ، وسابع للغة ، فشكراً للناشرين الكريمين على سعيهما بإحياء هذا الأصل القديم خدمة خالصة منهما للعلم ، وهذا هو دأب الشيخ محمد نصيف حفظه الله فى مواصلة السعى والعمل والإحياء فى كتب العلم النافعة .

مكتبتنا العربية

كنوز الأجداد

الأستاذ محمد كرد على

نشره المجمع العلمى العربى بدمشق - فى ٤٣٨ صفحة قالبين

الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العربى بدمشق من رجال هذا العصر الذين عاشوا للعلم ودأبوا على خدمته من ستين سنة إلى الآن . وكان مما عنى به فى عشرات السنين دراسة تراجم علماء هذه الأمة وقادة الأدب والفكر فى مختلف الأمصار والأعصار ، وتسجيل أعمالهم ، وجرد تركتهم ، ووصف ما خلفوه لنا وللإنسانية من تراث خالد على الدهر . وكتابه هذا (كنوز الأجداد) يتضمن تراجم بضع وخمسين إماماً من أئمة الدين والعلم والأدب كتبها الأستاذ المؤلف فى سنوات مختلفة ونشر كثيراً منها فى مجلة المجمع العلمى العربى أو فى أوائل بعض المؤلفات التى تولى الأستاذ كرد على نشرها وترجم لأصحابها . وأكثر ما يعنى به فى ترجمة الرجال وصف علمهم وأدبهم ونواحى اختصاصهم والتعليق على ذلك فى مواطن العبرة من أعمالهم . وقد أحسن كل الإحسان بجمع هذه التراجم فى هذا الكتاب النفيس الذى يضارع أجود كتب التراجم المشهورة كوفيات الأعيان للقاضى ابن خلكان وإرشاد الأريب لياقوت

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد تولى الأستاذ صلاح الدين المنجد وضع ثلاثة فهارس له أحدها للكتب المذكورة فيه ، والثانى للأعلام والثالث للبلدان ، وفاته أن يفرد الفهرس الأساسى لأسماء المترجم لهم والدلالة على مواضع تراجمهم من الكتاب ، أما إدراج أسمائهم فى عامة أسماء الأعلام فلا يغنى عن ذلك الفهرس .

الكتاب الذهبى لمهرجان ابن سينا

نشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية فى ٤٦٣ صفحة قالبين
(و ٦٩ صفحة القسم الأفرنجى)

كانت الأمة العربية قد احتفلت بمرور ألف سنة على علمين من أعلام الأدب والفكر وهما أبو الطيب المتنبى وأبو العلاء المعرى ، ثم اشتركت لجنتان من مصر والعراق فى إقامة

مكتبتنا العربية

مهرجان ذهبي في بغداد لمرور ألف سنة على وفاة أبي علي بن سينا ، فعقد في هذا المهرجان عشر جلسات : واحدة افتتاحية ، وأخرى ختامية ، وثمان بينهما للدراسة والبحث ألقي فيها ثلاثة وثلاثون بحثا وتسع محاضرات ، وقد دارت مناقشات حول أصل ابن سينا ونسبه وتاريخ مولده وعقيدته وعلاقته بالشيعة والإسماعيلية ، وهل فلسفته ملحدة وتصوفه ستر لهذا الإلحاد . وقد تبين من النقاش بما لم يبق معه مجال للشك أن ابن سينا نشأ في وسط إسماعيلي وأنه تأثر بدعاة الإسماعيلية وتعاليمهم التي كانت منتشرة في عصره . وإن البحث القيم الذي ألقاه الأستاذ عباس العزاوي في اليوم الثالث من أيام المهرجان بعنوان « ابن سينا وأثره في التصوف » من أجود ما قيل في هذا المهرجان وأكثره تحقيقا . والحق أن ما عرض في هذا المهرجان من بحوث عن ابن سينا قد ألم بجميع نواحي حياته وإنتاجه . ولذلك أحسنت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية كل الإحسان بجمع هذه البحوث كلها ونشرها في كتاب ذهبي نفيس جاء في ٥٣٠ صفحة من قطع هذه المجلة .

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

للأستاذ مسعود الندوي - نشرته لجنة الشباب المسلم - في ١٦٠ ص

إن اتساع نطاق التعاون بين مسلمي باكستان والهند وإخوانهم في الأوطان العربية والبلاد الإسلامية ، منذ قامت للإسلام هذه الدولة الجديدة في ربوع الهند ، قد أشعرت الفريقين بالحاجة إلى زيادة التعارف . وقد كان من نتائج ذلك ظهور هذا الكتاب اللطيف بقلم الأستاذ مسعود الندوي معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية في باكستان وصاحب مجلة الضياء التي كانت تصدر بالعربية في مدينة لكنو ومترجم مؤلفات الداعية الإسلامي الكبير أبي الأعلى المودودي من الأوردية إلى العربية . وآخر أعماله العلمية النافعة هذا الكتاب (نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان) ذكر فيه بداية دخول الإسلام إلى القارة الهندية وتطور انتشاره ، ثم محاولة الملك أكبر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري الكيد للإسلام بتقليص ظله ، وظهور المجاهد المصلح المجدد أحمد السرهندي ووقوفه في وجه ذلك الملك الطاغية حتى تغلب عليه بإخلاصه وعزيمته وتقواه ، وقيام العلماء

مكتبتنا العربية

بعده بمثل هذا الجهاد وفى مقدمتهم الشيخ عبد الحق الدهلوى وولى الله الدهلوى وتلاميذه ، ثم الإمامان الشهيدان السيد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل حفيد ولى الله الدهلوى ، فاستعرض المؤلف حالة مسلمى الهند الدينية فى العصور الثلاثة الماضية وما طرأ عليها من شرور وما يسر الله لها من قيام العلماء الأعلام الأبرار لإرجاع الناس إلى سنة نبيهم وتعريفهم بدينهم والسير بهم فى طريقه المستقيم ، إلى أن تأسست معاهد العلم الإسلامية النافعة وفى مقدمتها مدرسة ديوبند ثم ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها ، وموقف مسلمى تلك الديار وحركاتهم السياسية والتحريرية التى قاموا بها على بصيرة من الله ، وما كان يعترضهم من ضلالات مبثوثة وأباطيل ألبست لباس الدين وليست منه ، ثم انتهى هذا الكفاح الإصلاحى بقيام دولة باكستان ، فانبرى حينئذ أهل النزعات المختلفة فى التعصب لنزعاتهم ومحاولة التأثير على الأمة لاستمالتها اليهم ، وموقف دعاة الإسلام الصحيح من ذلك كله ، وما قاموا به لدين الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة واليقظة والموعظة الحسنة فكتب الله لهم التوفيق بأكثر مما كانوا يرجون .

إن هذا الكتاب على إيجازه يقدم للمسلمين فى الأوطان العربية والأقطار الإسلامية صورة صحيحة لحيوية الإسلام وتطورها فى القارة الهندية ، وقد كتب مقدمته رئيس تحرير هذه المجلة معرفا قراءه بصديقه القديم الأستاذ مسعود عالم . وقد تولت نشره لجنة الشباب المسلم المؤلفة من أفاضل أبنائنا الجامعيين فى مصر ، وقد سبق لها نشر الكتب النافعة التى نوهنا بها غير مرة . والكتاب مختوم بفصل عقبت به اللجنة على ما ورد فيه ، ملخصة أبوابه ، ومشيرة إلى مواطن العبر منها . وهو بلا شك كتاب طريف لا نعرف فى العربية كتابا يغنى عنه فى بابه .

أحاديث الثلاثاء بدار السلام

نشرتها دار السلام للنشر — فى ٧٢ ص قالبين للقسم العربى ، و ١٤٠ ص للقسم الفرنسى

فى مصر مرافق ومعاهد وندوات للعلم قد لا يعرف المشتغلون بالعلم شيئا عنها ، ومنها ندوة اسمها « دار السلام » تألفت من فريق من الفرنسيين والشرقيين للبحوث الفلسفية

مكتبتنا العربية

والصوفية على اختلاف مصادرها البرهمية أوالمسيحية أو الإسلامية أو غيرها ، وقد أهدى الينا من أعمالها كتاب بالعربية والفرنسية عنوانه «أحاديث الثلاثاء بدار السلام سنة ١٩٥١» اشتمل على النص الفرنسى والترجمة العربية لمقال كتبه المستشرق الأستاذ لويس ماسينيون بعنوان « قيمة الكلمة الانسانية كشهادة » وقد عنى فى هذا المقال بتحديد الطريقة الحسنة لقراءة الكتب السماوية ، والذين يعرفون الأستاذ ماسينيون يعرفون مشربه الصوفى ونظرته من هذه الجهة إلى المأثور من أقوال الحلاج وأمثاله ، وبهذا المشرب ومن هذه الجهة ينظر إلى التوراة والأناجيل وسائر الكتب السماوية ، وقد لا يوافقه علماء جميع هذه الديانات على فهمه وتفسيره وتلقيه لكل ذلك ، وقديما افترق الطريق الصوفى عن الطريق الشرعى حتى عند أهل المنبع الأول للتصوف وهم براهمة الهند ، ومن باب أولى فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، غير أن هذا لا يؤيس المتعلقين بالتصوف من مواصلة السير فى طريقهم على أمل أن يتفاهموا ويتقاربوا مهما اختلفت نسبتهم الدينية ، ولعل هـــذه هى مهمة دار السلام وأحاديث الثلاثاء فيها .

ويأتى بعد مقال الأستاذ ماسينيون فى هذا الكتاب بحث مستفيض للأستاذ لويس غارديه عنوانه « البحث عن (المطلق) فى التصوف المسيحى والتصوف الإسلامى والتصوف الهندى » وهو ينقسم إلى خمسة أبواب أولها فى « التعطش نحو المطلق » والثانى عن « اليوغا الهندى فى شكله الكلاسيكى » والثالث عن « حالات الانفراد والتجربة الصوفية » والرابع « التجربة الصوفية فى نظر ابن سينا » والخامس «معرفة الله ومحبته عند الفلاسفة والمتصوفة »

إن الفرنسيين الأفاضل الذين يشتغلون بهذه البحوث لا يشتغلون بها باعتبار أنها بحوث تاريخية ، بل يظهر من كتاباتهم أنهم هم أنفسهم صوفيون وأصحاب دعوة ، ومن أغراض دعوتهم أن يكون فيها تجاوب بين متصوفى أهل الديانات المختلفة ، ونحب أن نقول فى هذا المقام إن الإسلام هو الإسلام ، والتصوف الذى ينحرف عن ظاهر نصوصه لا يجوز أن يسمى تصوفا إسلامياً ، بل إن الإمام الشافعى كان يكره هذه التسمية ، وله فى ذلك كلمة مشهورة رواها عنه الحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء وأبو الفرج بن الجوزى فى صفة الصفوة ، والإسلام دقيق جداً فيما ينتسب إليه وما يخرج عنه ، وأكثر ما يسميه المستشرقون تصوفا إسلامياً لا يلتقى مع الإسلام فى طريق .

مكتبتنا العربية

فاتح مصر عمرو بن العاص

الأستاذ صابر عبده ابراهيم من شبابنا الأفاضل المعروفين بنشاطهم وإنتاجهم ، وقد سبق له قبل ست سنوات نشر سلسلة من الرسائل فى تراجم الصحابة رضى الله عنهم كان لها جميل الحظوة بين شباب المسلمين . وهو الآن يستأنف نشاطه بالشروع فى سلسلة أخرى أهدى إلينا الحلقة الأولى منها عن فاتح مصر العظيم (عمرو بن العاص) رضى الله عنه ، وقد اعتذر المؤلف عن الإحاطة بسيرة هذا الصحابى الجليل بأن أعماله وجهاده ونبوغه وعبقريته ليس من المعقول أن يتسع لها كتاب كهذا الكتاب ، لأن تاريخه فى الجاهلية والإسلام حافل بعظائم الأعمال التى تدعو إلى البحث والنظر فى سر القوة الكامنة فى هذا الرجل القوى . ومع ذلك فإن المؤلف استعرض من سيرة هذا الداعية الأول إلى الإسلام فى مصر ما وسعه المقام من عظيم أعماله ، فجاء كتابه فى ١٢٥ صفحة . فنرجو لهذه السلسلة الجديدة من (أعلام الصحابة) ما لقيته السلسلة السابقة من الإقبال عليها والانتفاع بها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

القعقاع بن عمر التميمى وبلاؤه فى الاسلام

للأستاذ عبد الله قاسم صقر

القعقاع بن عمرو من أفاضل الصحابة وشجعانهم وأهل الرأى والعدالة فيهم ، وقد كانت له مواقف فى الجهاد الإسلامى مدة الخلفاء الراشدين استعرض الأستاذ عبد الله قاسم صقر أخبارها فى كتب التاريخ ، وسجلها فى كتاب بلغ ٩٢ صفحة مرتبة بحسب تاريخ وقوعها ، وعنى بما للقعقاع من الشعر فأورده وفسره ، فكان كتابه بذلك كتاب تاريخ وأدب . جزاه الله خيراً .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم في شهر

انحطاط التعليم الثانوى

قال الدكتور محمد عوض محمد مدير جامعة الاسكندرية فى حديث له مع مندوب جريدة المصرى : « إن الجامعات فى مصر كلها مزدحمة ازدحاما شديداً لا يتفق ورسالة التعليم الجامعى وهى تخريج قادة الأمة فى مختلف الميادين .

« ويكاد الاجماع ينعقد على أن التعليم الثانوى بحالته الراهنة لا يؤهل للتعليم الجامعى ، وليس جميع الحاصلين على شهادة التوجيهية بقادرين - لا من حيث الاستعداد ، ولا من حيث دراساتهم - على الالتحاق بالجامعات . وبانحطاط المستوى العلمى للطلاب لم يكن هناك مفر من انحطاط مستوى التعليم الجامعى أيضاً ، حتى لقد انتشر فى كثير من الأقسام الدراسية بكل الكليات - بدلا من إلقاء محاضرة - أن يملى المدرس إملاء على الطريقة التى تتبع فى المدارس الثانوية . فمن الضرورى أولا رفع مستوى التعليم الثانوى وشهادة التوجيهية بصفة خاصة .

سياسة التعليم خاطئة

حتى فى التعليم الصناعى

زار وزير التجارة والصناعة الغرفة التجارية فى القاهرة ودارت بينه وبين أعضاء مجلس إدارتها أحاديث مهمة ، منها أن أحد الأعضاء أشار إلى مشكلة الحاجة إلى الكتبة التجاريين إذا حتم القانون على تجار مصر جميعاً وعددهم حوالى ستمائة ألف تاجر أن يمسكوا دفاتر قانونية ، فأجاب الوزير :

« إن التعليم الفنى فى مصر قد مات . وكما نشكو فى مصر من أن الطبقة المتوسطة فى المجتمع قد ماتت نشكو أيضاً من أن التعليم الفنى الذى يخرج رؤساء عمال فنيين أو كتبة تجاريين غير موجود . وليس فى مصر مدارس تخرج من الفنيين من هم بين مركز المهندس والعامل . وكل المدارس الصناعية فى مصر

مكتبتنا العربية

تخرج موظفين للحكومة فقط ، مع أن عصب الصناعة فى العالم هو « الاسطى » أو « العامل المتعلم » . وأعتقد أن هذا سببه أن سياسة التعليم الصناعى فى مصر سياسة خاطئة ، وأنه يجب أن يكون التعليم الصناعى فى مصر وفقاً لأحدث النظم فى البلاد الصناعية ليخرج عمالا فنيين مهرة » .

مكتبات فى المساجد

دعا الرئيس اللواء محمد نجيب المواطنين إلى قضاء جانب من أوقات فراغهم فى المساجد ، وعلقت (الأهرام) على هذا النبأ بأن وزارة الأوقاف تحسن صنعاً لو نظمت - بمعاونة وزارة المعارف - مكتبات علمية وأدبية تزود بها المساجد ، فتحبب إلى المواطنين قضاء أوقات فراغهم فيها وتقرن العلم بالدين .

والمسجد فى التاريخ الإسلامى معهد علم ، ومجمع أدب ، وكان فى بعض أدوار التاريخ محكمة للقضاء العام ، وداراً للشورى ومركزا للقيادة والاستعداد للجهاد . ولم تسقط منزلة المسلمين وتنحط أخلاقهم إلا منذ اخترع لهم إبليس هذه المقاهى وحشرهم فيها ، فخسروا دنياهم وآخرتهم . ومن العجيب أن جميع أمم الأرض لا تكثر المقاهى فى أمة منها كما تكثر فى بلادنا معاشر المسلمين !

معلم المدرسة وضابط الجيش

فى خطبة ألقاها الرئيس اللواء محمد نجيب عن التعليم قال : « نظريتى فى التعليم هى أنه السبيل إلى إعداد المواطن الصالح الذى يحسن التصرف فى الأمور ، ويكون له من الغيرة الوطنية قدر وفير . ولهذا أعتقد أن المعلم هو النواة الأولى فى هذا السبيل . فالمعلم يعد المواطنين ، والضابط يعلمهم الجهاد . وأنا أضع التعليم فى المحل الأول من عنايتى ، فان رجال التعليم لا يقلون فى نظرى عن ضباط الجيش وجنوده ، بل إن المعلمين بمثابة جنود المقدمة أو الفرسان لأنهم يضعون الحجر الأول فى سبيل إعداد جيل سليم . والمعلم فى حرب طول حياته ، الأمر الذى يجعل له عندنا مكانة خاصة » .

الكتب فى المدارس الأهلية

كانت وزارة المعارف توزع كتب الدراسة على تلاميذ المدارس الأميرية التابعة لها . وفى الأيام الأخيرة قرر مجلس الوزراء أن يكون نظام الكتب شاملا المدارس الأهلية أيضاً فتوزع على تلاميذها كما توزع على تلاميذ المدارس التابعة للوزارة .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

تصرفات الإنجليز فى السودان :

من دواعى الأسف الشديد أنه قبل أن يجف المداد الذى كتبت به الاتفاقية التى عقدت بين مصر وبريطانيا بشأن السودان ، أخذت ترد إلى مصر من مختلف أنحاء السودان شكاوى صارخة من المعاملة السيئة التى يعامل بها الإداريون البريطانيون فى الأقاليم الجنوبية من السودان بعض الزعماء الذين وقعوا اتفاقات مع مصر وكثيرين غيرهم من الأهلين وقد ورد فى هذه الشكاوى أن زعماء ورجالا عديدين ألقوا فى غياهب السجون ، وإن الإداريين البريطانيين فى السودان عادوا إلى سيرتهم الأولى من الالتجاء إلى التهديد والوعيد ، وجميع هذه الأعمال لا تتفق فى شىء مع ما تنص عليه الاتفاقية التى قالت مصر عقب توقيعها : إن العبرة فى تنفيذها تنفيذاً دقيقاً وسليما .

وقد صرح الرئيس اللواء محمد نجيب تعليقاً على هذه الحقائق بأن الإداريين البريطانيين خرجوا على الاتفاقية ، وأقاموا الدليل الملموس على عدم توفر حسن النية عندهم. قال : « وهذا ما يحملنا من غير شك على عدم الثقة بهم والاطمئنان إليهم فى إبرام أية معاهدة معهم » .

ثم قال بلهجة قوية « لقد اختار الحسيبان النسيبان والزعيمان الكبيران السيد عبدالرحمن المهدى والسيد على الميرغنى المندوبين السودانيين فى لجنة الانتخابات ، ووافقنا على اختيارهما ، ومع ذلك فقد اعترض الجانب البريطانى على هذا الاختيار من غير ما سبب ، وبلا أدنى موجب ، ويترتب على هذا الاعتراض تأخير إجراء الانتخابات فى حين كان الواجب على الجانب البريطانى أن يوافق هو الآخر على اختيار هذين المندوبين ما دام أصحاب الشأن الأول هم الذين اختاروهما ثم وافقنا نحن على هذا الاختيار » .

وقال : « لقد وردت إلينا من مصادر رسمية وغير رسمية أنباء عن ازدياد حوادث العسف والاضطهاد . وطلب الكثيرون من المواطنين السودانيين العمل على إيفاد هيئة دولية للتحقيق فى هذه الحوادث . كما وردت أنباء عن محاولات يعمد هؤلاء الإداريون البريطانيون إلى اتخاذها دون حساب ولا مبالاة ، وذلك بتعيين موظفين بريطانيين فى وظائف ثابتة كالوظائف القضائية وغيرها ،

مكتبتنا العربية

لإبقائهم فى السودان أطول مدة ممكنة ، وهذا عمل لا يجوز الإقدام عليه ، بل ولا التفكير فيه ، إلا بواسطة لجنة الحاكم العام التى تنص عليها الاتفاقية » .

ثم ختم الرئيس تصريحاته بلهجة الحزم والعزم الشديدين قائلا : « إننا إذا اتفقنا ، فإن رجولتنا الحقة هى التى تصون هذا الاتفاق وتنفذه بحذافيره . ونحن رجال نعرف حق المعرفة كل مالنا فنحصل عليه ، وكل ما علينا فنعطيه لصاحبه . ولست أدرى كيف تتوفر الثقة عندنا وتنبعث الطمأنينة فى نفوسنا لنعمل اتفاقا آخر مع الانجليز وهذا موقفهم العجيب من اتفاقية أبرمت بيننا وبينهم يوم ١٢ فبراير الماضى ، أى لم يمض بعد شهر واحد على إبرامها ، وهذا ما يجب أن يكون واضحا من جانبنا لهم ، فليتدبروا الأمر ، ولنا بعد ذلك ما نريد » .

واحة البريمى

هذه الواحة واقعة بين أراضى المملكة العربية السعودية وأراضى عمان ومسقط المحمية من الإنجليز . ولما زار سلطان مسقط وعمان فى المدة الأخيرة العاصمة البريطانية ووقع مع حكومتها اتفاقية جديدة ، أخذت تنتشر من لندن الأخبار عن اختلاف على واحة البريمى ، وعن تدخل الإنجليز فى هذا الأمر بصفتهم أصحاب الحماية على أراضى مسقط وعمان ، وعرضوا الالتجاء إلى التحكيم فى هذه المسألة ، فعقب على ذلك متحدث باسم وزارة الخارجية السعودية بأن حكومته تطالب استفتاء سكان المنطقة فى أمر تابعيتهم لأنهم أهل الحق فى ذلك ، ولا ترى الالتجاء إلى تحكيم أحد . ومع أن بين الحكومتين اتفاقاً على وقف كل نشاط عسكرى فى هذه الجهة ، فإن ممثلى الحكومة البريطانية فى الخليج الفارسى قاموا بإجراءات سريعة فحلقت طائراتهم على الواحة بقصد التأثير على أهلها ، وساقوا قوات مسلحة من الجنود الذين جلبوهم من بعض البلاد العربية لإلزام الأهالى بالخضوع .

ولما لم تجد الاتصالات الودية لمنع هذا التعدى قامت الحكومة السعودية — عملا بالمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة — بتوسيط الولايات المتحدة الأمريكية فى الأمر . وإن الحكومة السعودية تستند فى ملكيتها لهذه المنطقة إلى التاريخ والواقع ، وإلى أن سكان واحة البريمى يدينون بالطاعة للحكومة السعودية هم وآباؤهم وأجدادهم من قبل ، وقد ظلت هذه المنطقة تحت حكم السعوديين إلى المدة التى غاب فيها والد الملك عبد العزيز عن قلب الجزيرة وهى مدة إحدى عشرة سنة ، ثم عاد ابنه الملك عبد العزيز بعد تلك الفترة وبسط سلطانه على البريمى وغيرها ، ومازال الأمر على ذلك من ٥٢ عاما بلا منازع .

مكتبتنا العربية

الوحدة العربية :

يظهر أن مبدأ « الاتحاد » فى مصر سيكون خطوة نحو الوحدة العربية والتعاون بأسلوب أقوى بين الشعوب الناطقة بالضاد . ولذلك دلائل متعددة أحدها قول البكباشى جمال عبد الناصر لمدير القسم العربى بإذاعة صوت أمريكا صباح يوم ١١ جمادى الآخرة (٢٥ فبراير) : « إن الشعوب العربية قاطبة ـ كشعوب ـ تشعر بالرغبة التواقة الى الوحدة وأقول لك عن مصر صادقا : إننا نعد أى عربى نزيه مخلص أخا لنا وواحدا منا . وتجاه هذا الشعور السارى فى صفوف الشعوب العربية جمعاء فإنه ينبغى للأمم الصديقة أن تلمس هذه الرغبة المشتركة بين العرب وألا تنتقص منها أو تستخفها ، وألا تحاول وضع العراقيل فى سبيل تحقيقها » .

وقال له أيضا : إن أمة قوية فتية كالولايات المتحدة قادرة على استرداد ما كان لها من منزلة شريفة بيننا وفى أرجاء العالم العربى قاطبة إن هى وعت وأدركت الرغبة الصادقة لشعوب هذه المنطقة ، وفهمت عزم هذه الشعوب على أن تعيش إلى جانب الأمم الأخرى وتتعامل معها تعامل الأحرار المستقلين . وكما قال لكم الرئيس اللواء محمد نجيب فإننا نرى فى الواقع تشابها كبيرا بين هذه المرحلة من تاريخنا فى مصر والمرحلة الأولى من تاريخ تحرير أمريكا ، لا من الحكم الأجنبى فحسب ، بل تحررها أيضاً من الفوضى والفساد فى الداخل » .

من هو الأجنبى فى البلاد العربية ؟

صدر مرسوم جديد فى سوريا يتناول تنظيم بعض أمور الجيش فى الحرب والسلم ، ومما جاء فيه أنه « يحظر على العسكريين الزواج من أجنبيات » . وتنص هذه المادة على أن « المرأة العربية لا تعتبر أجنبية » .

تعاون المسلمين جميعا :

عادت من باكستان البعثة العسكرية المصرية التى زارت تلك البلاد الاسلامية أخيرا ، وفى الاحتفال باستقبالها خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال : « لقد سرنى كثيراً ، ماسمعته عن النهضة المباركة فى باكستان ، مما ينشرح له صدر كل مصرى . وأرجو الله أن يحقق آمالنا ، وأن يقرب اليوم الذى نجد فيه جميع أبناء البلاد الإسلامية والعربية متكاتفين ، حتى نقف جميعاً جبهة واحدة أمام الخصم الكبير من الأطماع » .

المسلمون فى الحكم الشيوعى

يرهن الشيوعيون فى ظل حكمهم الذى بسطوه على بخارى وخيوة والقريم والقفقاس وسائر الأقطار الشرقية الداخلة فى نطاق حكمهم

مكتبتنا العربية

على أنهم أشد مالى الأرض تعصباً لعقائدهم واضطهاداً لعقائد غيرهم .

فقد جاء فى كتاب انتشر فى الشهر الماضى بقلم البروفسور والتر كولارز من علماء تشيكوسلوفاكيا وصف مطول لحالة دول آسيا الوسطى ، وكانت حتى فى العهد القيصرى تدين بالإسلام وتعتز بالثقافة الإسلامية . فسرد البروفيسور كولارز - بصراحة - قصة التوغل الشيوعى فى هذه الدول وشرح كيف تحامل الشيوعيون على الإسلام واعتدوا عليه وحالوا دون نشر الثقافة الإسلامية فى أوطانها الصميمة التى ظهر منها أعلام الإسلام كالإمام البخارى ، ثم حملوا شعوب هذه الدول على نبذ اللغة العربية ، وفرضوا عليهم الحروف اللاتينية ، ثم اللغة الروسية ، واعتقلوا قادة المسلمين ورجال الدين والفكر ، وصادروا المصاحف والكتب الدينية ، وألغوا مناهج التعليم الإسلامى ليحولوا دون نشوء أجيال أخرى مؤمنة بهذا الدين . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا اللغة الروسية هى اللغة الرسمية فى هذه البلاد الإسلامية من سنة ١٩٣٩ إلى الآن ، وبسبب ذلك فقدت تلك البلاد طابعها الاسلامى ، ونشأ شبانها الأحداث لا يدرون شيئاً عن الاسلام ولا يشعرون بعلاقة بينهم وبين المسلمين أو الماضى الاسلامى . بل إن روسيا دربت عدداً كبيراً من أبناء المسلمين فى مدارسها ثم أعادتهم إلى بلادهم وعلى رأسهم المدعو (أفندى كابييف) الكاتب التترى الذى كتب فى أحد مؤلفاته يقول : « أيتها اللغة الروسية العظيمة ، إننى أركع تحت أقدامك ، وأسألك أن تنشرى فوق جناحيك ، لأن جناحيك رحمة وبركة » .

الاصطلاح يبرأ بالأعمال

شكا السيد سامى الصلح رئيس الوزارة اللبنانية السابق إلى مندوب جريدة الأخبار الجديدة ما يلقاه رجال الحكم من الصعوبات بسبب فساد الأخلاق فقال عن الحالة فى لبنان : « إن إصلاح الحال من المحال : فالتربية السياسية عندنا بحاجة إلى معالجة سريعة ، والحاكم بيننا لا يستطيع أن يحكم بدون تأييد قطاع الطرق ومهربى الحشيش ، والزعيم بيننا لا يتزعم إلا بنفوذ أصحاب أندية القمار والمشردين والمطاردين أمام القانون . ومن هؤلاء وهؤلاء يستجدى الحاكم والزعيم نفوذه وسلطانه .. ولعنة الله على الزعامة التى لا تأتى إلا عن هذا الطريق ، ويا ضيعة الحكم الذى لا يتحقق إلا بتأييد هؤلاء وهؤلاء . إن الرجال الذين تعاونوا مع الانتداب .. ثم تعاونوا مع عهد الاستقلال .. ثم تعاونوا مع الشيخ بشارة الخورى .. هم اليوم - بأنفسهم - أبطال هذه الأيام » .

مكتبتنا العربية

الروتين الحكومى

خطب الأستاذ محمد فؤاد جلال (وزير الإرشاد القومى) فى قاعة يورت الأمريكية، فكان مما قاله عن إصلاح الإدارة الحكومية: « إن أداة الحكم هى ذلك المخلوق الخطير المترامى الأطراف الذى أنشىء جهازه منذ أكثر من مائة عام وظل يتسع شيئاً فشيئاً. والثورة (يعنى تطور العهد الجديد) إما أن تقتل «الروتين»، وإما أن يقتلها الروتين. وليس هناك حل وسط. ولذلك اتجهت الثورة إلى قلب الأوضاع فى نظم الأداة الحكومية قلبا أساسيا يجعل من هذه الأداة المعوقة أداة فعالة تستهدف ما تستهدفه الثورة نفسها، بل تصبح جزءا منها. وهنا لا نجد الأمر هيناً كما وجدناه فى الخطوات السابقة التى لم تكن فى ذاتها هينة. فان الأداة الحكومية قد وضعت لنفسها نظما وقوانين وتقاليد بالمتون والشروح والحواشى، وجعلت لنفسها دهاقنة وكهانا لا تفلت من بين أصابعهم الدقيقة شعرة، فأصبحت دولة داخل دولة، بل أصبحت هى الدولة، وكأنها غاية فى ذاتها ليست وراءها غاية من الغايات. وواقع الأمر أن الأداة الحكومية وسيلة لتحقيق الغايات، وإذا لم تفلح فى تحقيق الغايات فلا كانت ولا كان لها وجود ».

نواة الجيش الاقليمى

أخذت مصر فى افتتاح معسكرات لتدريب الشباب تمهيدا لجعلها نواة لجيش مصر الاقليمى، ولما افتتح الرئيس اللواء محمد نجيب معسكر إمبابة ألقى خطبة قال فيها: إن الله يحب الاقوياء ويكره المستضعفين. وهذه باكورة معسكرات التدريب العسكرى يقوم عليها نفر من خيرة شباب ضباطنا ليتعهدوا شبابكم بالتدريب على حمل السلاح واستخدامه، وعلى رياضة النفس والجسم على تحمل المشاق واجتياز المصاعب ليعدوا الشباب إعدادا قويا للدفاع حين يحزب الأمر ويدوى النفير أن « انفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ».

تشجير مصر

قاد الرئيس اللواء محمد نجيب حركة مباركة لتشجير بقاع مختلفة من الأرض المصرية، وإن العزيمة معقودة على غرس ملايين كثيرة من الأشجار بأيدى رجال الجيش وطوائف الطلبة والموظفين وغيرهم من الجماعات والأفراد. وقد خصصت لذلك مساحات واسعة من الأرض، وينتظر أن تكسب مصر من هذه الحركة النشيطة قيام كثير من الغابات فى جميع الأنحاء.

العلم المصرى

تتجه النية إلى التحرر من الرمز التابعية العثمانية الممثل فى العلم المصرى، وتصحيح الرأى الخاطىء فى الشرق والغرب بأن الهلال رمز دينى فى الإسلام، وليس فى الإسلام نص على أن الهلال رمز له، بل إن استحداث

مكتبتنا العربية

الهلال فى الراية حديث عهد حتى فى الدولة العثمانية المنقرضة ، فإنها فى بداية عهدها لم يكن الهلال رمزاً لها .

وقد اختارت هيئة التحرير علما لها مؤلفاً من الألوان الثلاثة : البياض والسواد والحمرة ولا يبعد أن يعمم هذا العلم فيكون هو علم الدولة المصرية . وقد لاحظ بعضهم أن اللون الأخضر الذى تتألف منه أرضية العلم المصرى الذى يراد تغييره أصرح تعبيراً عن طبيعة مصر وخصب واديها وبركة نيلها فى تربتها ، وعندنا أنه لا بأس فى أن يكون اللون الأخضر هو اللون الثالث فى العلم المصرى مع اللونين الأبيض والأسود . ومن الثابت فى التاريخ أن الرايات الإسلامية الأولى كان منها الأبيض ومنها الأسود ومنها الأخضر ، وكان كل من هذه الألوان شعاراً لدولة عربية إسلامية مجيدة فى التاريخ ، فإذا جمع العلم المصرى هذه الرموز التاريخية ميزاً بالنسر أو بالصقر الذى كان هو أيضاً من الرموز العربية والمصرية قبل الاسلام كان التوفيق حليف مصر فى هذا الاختيار .

مديرية التحرير

تقرر إنشاء مديرية جديدة فى الصحراء الغربية بالقرب من الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية تسمى (مديرية التحرير) . وستكون مساحة هذه المديرية ٣٣ ألف فدان ، وفيها مركزان إلى جانب حاضرتها وعدة نقط للبوليس فى جهات ستكون مأهولة بالسكان . وقد وضع لهذه المديرية تصميم هندسى ، وينتظر أن يبدأ العمل فى تنفيذ مشروعات العمران ، وأولها شق ترعة تبدأ من مصرف المحيط عند مديرية الجيزة ويبلغ طولها حوالى عشرة كيلو مترات وقد أصبح فى حكم المقرر توزيع أراضى هذه المديرية على المعدمين وذوى الأسر المؤلفة من خمسة أشخاص على أن يكون نصيب كل أسرة خمسة أفدنة يزرعها صاحبها بتقاوى توزعها وزارة الزراعة .

مدافن مديرية القاهرة :

اعتادت مصر من زمن الفراعنة العناية بالأموات أكثر من عنايتها بالأحياء ، وتقيم لدفن الموتى مدافن أعظم مما تقيم من البيوت لسكن الناس . ومع أن الاسلام قد وضع حداً لهذا الشذوذ العمرانى ، فإن آثاره لا تزال باقية إلى الآن عند المسلمين وغيرهم ، مع أن المسلمين يرون منذ نحو أربعة عشر قرناً أن المسلم الأول فى مصر والسبب الأول فى إسلام كل مسلم فيها وهو عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ ، لم يشأ ابنه وسائر أصحابه من القواد والولاة والعمال أن يقيموا له على قبره بناء ، لأن الاسلام يرى أن المسلم

مكتبتنا العربية

إذا مات يجب أن يخلد ذكره بأعماله لا بما يقام على قبره من أنصاب ومعالم .

نقول هذا لمناسبة عزم ولاة الأمور على تخصيص ٢٥٠ فداناً فى الجبل الأخضر لإقامة مدافن صحية جديدة عليها يراعى فيها المساواة التامة بين الطبقات ، فلا يمتاز قبر الغنى لغناه على قبر الفقير ، بل يقتصر فيها جميعا على إعـــدادها بما يتناسب مع جلال الذكرى والشروط الصحية .

تحريم المسكرات فى برقة

أصدر ملك ليبيا قانوناً بتحريم المسكرات فى ولاية برقة على كل مسلم ، فأحسن بذلك إلى أهل ذلك الوطن الإسلامى فى عقولهم وأخلاقهم وثروتهم كما أحسن به إليهم فى دينهم

أمريكا والعرب

عقب زيارة الأمير فيصل السعود وزير الخارجية السعودية للرئيس ايزنهاور أصدر البيت الأبيض بيانا أعلن فيه أن رئيس الولايات المتحدة أعرب عن اهتمامه وقلقه بقيام بعض الأدلة على أن العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية تدهورت فى المدة الأخيرة ، ويقول البيان إن ايزنهاور وعد بالعمل على تصحيح الأخطاء ، وأنه أبلغ الأمير فيصلا أنه سيجعل هدفه الثابت العمل على إعادة روح الثقة والطمأنينة .

فتنة القاديانية فى لاهور

كان الداعية المأفون غلام أحمد القادياني يرمى بدعوته إلى أغراض متعددة أحدها إعانة الاستعمار الأجنبى بدعوى أن حكمه على المسلمين حكم شرعى ، وأن الجهاد نسخ ، وذلك فضلا عن الضلالات الأخرى فى هذه الدعوة كادعائه بأنه نبي يوحى اليه ، وإطالة لسانه على بعض الأنبياء والصحابة ، وكان المنتظر من أتباعه المثقفين — ولا سيما بعد زوال سلطان الاستعمار — أن يكفوا عن هذه الدعوة وأن يرجعوا إلى أحضان الإسلام ويجعلوا نشاطهم وقفاً عليه .

فلما رأى منهم مواطنوهم المسلمون أنهم لا يزالون على إصرارهم السابق فى الدعوة إلى هذه الضلالة ، وهم مواصلون نشاطهم فيها مستفزين مشاعر الجمهور الأعظم ، نشأت عن ذلك فتنة فى الأسابيع الأخيرة بمدينة لاهور قتل فيها أحد عشر شخصا وجرح أربعة عشر فأعلنت حكومة باكستان الأحكام العرفية فى تلك المنطقة وهيمن الجيش عليها ليحول دون وقوع اضطرابات أخرى .

تصـــــحيح

تحرفت كلمة « عام » بكلمة « عـــلم » فى وصف « سبيل الله » بالسطرين ١٧ و ٢٢ من الصفحة ٧١٧ فى الجزء الماضى والصواب فيهما : « سبيل الله » عام .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء السابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٧٧٧	أمانتان	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٨٣	دفاع عن الأزهر	« محمد عرفة مدير المجلة
٧٨٦	نفحات القرآن	« عبد اللطيف محمد السبكى
٧٩٢	التفسير	« حامد محيسن
٧٩٧	السنة : التطهير فى الاسلام	« طه محمد الساكت
٨٠٢	تنظيم العلاقة بين الارادة والغرائز	الدكتور محمد عبد الله دراز
٨٠٩	نظرية السبب فى العقد	« محمد يوسف موسى
٨١٤	شهر التصرفات بين القانون والشريعة	الأستاذ أحمد فهمى أبو سنة
٨١٨	حقيقة الوجوب والنهى	« عبد الله المراغى
٨٢١	نشأة كتب الأمالى	« عبد الوهاب حمودة
٨٢٨	آراء وأحاديث : علوم البلاغة فى الميزان	« محمود الشواوى
٨٣٥	حقوق الانسان فى شريعة الاسلام	« محمد فتحى محمد عثمان
٨٣٩	جيل يؤمن بالأخلاق	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٨٤٣	نفسيات (شعر)	الأستاذ « السيد »
٨٤٤	لغويات	« محمد على النجار
٨٤٨	الاسلام فى أمريكا	« محيى الدين رضا
٨٥١	الفتاوى	
٨٥٤	لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٨٥٧	الجندية فى الاسلام	اليوزباشى محمد جمال الدين محفوظ
٨٦٠	رسول الله فى الطائف	الأستاذ عبد المنعم النمر
٨٦٤	الحكم بما أنزل الله	« محمد محمد أبو شهبة
٨٦٩	الحاكم فى الاسلام	« ابراهيم على أبو الخشب
٨٧٢	الفرض العلمى	« سعيد زايد
٨٧٧	فضل الرسول على قومه	« عبد الغنى عوض الراجحى
٨٨١	أسرار الاسلام	« عبد الرحيم فرغل البلينى
٨٨٥	التشريع الاسلامى	قلم التحرير
٨٨٦	الكتب	»
٨٩٠	الأدب والعلوم فى شهر	»
٨٩٧	أنباء العالم الاسلامى	»